التحقيق في معنى اتهام المشركين النبي صلى الله عليه وسلم بتهمة الجنون

((دراسة في التفسير الموضوعي))

د. عايش علي لبابنة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة اليرموك

التحقيق في معنى اتهام المشركين النبي صلى الله عليه وسلم بتهمة الجنون ((دراسة في التفسير الموضوعي))

د. عايش علي لبابنة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة اليرموك

ملخص البحث:

ناقشت هذه الدراسة تهمة الجنون التي نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهدفت الدراسة إلى استجلاء الراجح في معنى الجنون المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتي تضمنتها بعض آيات القرآن. حيث اشتهر في التفاسير أن المقصود بها هو الخلل العقلي. وباستخدام منهج البحث اللغوي، والمنهج الاستقرائي الاستنباطي، ودلالة السياق في الآيات خلص الباحث بالأدلة إلى أن معنى الجنون الوارد في الآيات هو تسلط الجن على النبي صلى الله عليه وسلم والتكلم بالقرآن على لسانه، وأن التهمة هدفت إلى تفسير تفوق القرآن على كلام العرب وعجزهم عن مجاراته، فهي بهذا اعتراف ضمني بإعجاز القرآن الكريم.

المقدمة:

لله الحمد في البدء والختام، وعلى نبيِّه محمد الصلاة والسلام، وعلى آله الطيبين، وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الدعوات لا تقوم إلا بالتضحيات التي يمر بها أصحاب تلك الدعوات سنةً لله تعالى في خلقه. ودعوة الأنبياء ليست بدعاً من هذه السنة، فقد بين الله تعالى أن أعداء الأنبياء سوف يظلون يعادون دعوتهم، ويتوسلون لحربها بكل ما أوتوا غاضين الطَّرْفَ عن شرف الوسيلة بعد أن فقدوا شرف الغاية.

وكان أكثر الأنبياء صبراً على الأذى خاتَمهم وواسطةَ عِقْدِهم محمدٍ صلى الله عليه وسلم، حيث أوذي في بدنه وعرضه،ولا يزال النبي عليه الصلاة والسلام هدفاً لخصوم الدين، فلا يزال يرمى بالتهم – بنفسي هو– ويستهزأ به من قبل أعداء الحق في كل زمان.

لكن لله تعالى سنةً في أن يصطفي للدفاع عن نبيه صلى الله عليه وسلم من يشاء في كل زمان، فكان الصدِّيق –عليه من الله الرضوان – إمامَ الذابِّين عنه صلى الله عليه وسلم الذي فداه بنفسه وولده وماله، وكان منهم أبو طلحة القائل: "بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصبْك سهمٌ من سهام القوم، نحري دون نحرك"[1]. وكان منهم من النساء أم عمارة بنت كعب المازنية التي قال فيها صلى الله عليه وسلم:" ما التفتّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني"[2]. ومنهم المنافح عنه بشعره وبيانه كحسان بن ثابت القائل:

"فإن أبي ووالده وعرضي لعِرض محمدٍ منكم وقاءُ"[3]

وكان منهم العلماء والباحثون الذين امتشقوا أقلامهم للذب عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرة له على أهل الباطل ممن يروم مطاولة الجوزاء، ويريد إطفاء شمس السماء، فطمع الباحث أن ينخرط في سلك هذه الكوكبة الشريفة باختياره موضوعاً

---

١. محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦)، الجامع الصحيح. تحقيق : مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير. اليمامة. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. (ط٣)ج٤،ص١٤٩٠.

٢. محمد بن سعد بن منيع البصري ، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر،ج٨،ص٤١٥.

٣.البخاري. الصحيح. ج٤،ص ١٥١٧.

يتعلق بتهمة من التهم التي وجهت للنبي صلى الله عليه وسلم ضمن سلسلة الأذى التي تعرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان من أنواع الأذى التي تحملها عليه الصلاة والسلام في الله- تكذيبه في نبوته، إلا إن الله تعالى أنبأ نبيه أن سبب تكذيبهم إياه إنما هو جحودهم آيات الله تعالى، لا اعتقادهم بأنه عليه السلام يمكن أن يكذب، وفي الحديث أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام ٣٣)[١]. قال البغوي في معنى الآية: "إنهم لا يكذبون في السر، لأنهم قد عرفوا صدقك فيما مضى، وإنما يكذبون وحيي ويجحدون آياتي. كما قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾"[٢].(النمل ١٤)

لكن القوم وهم ينفون نبوته حاروا فيما يجيء به من كلام ليس ككلامهم، فمن السهل أن تكذِّب بالحق لكن من الصعب أن تجعل منه باطلاً، فهبهم أبَوْا الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع قيام الدلائل، فكيف عساهم يعللون عجزهم عن الإتيان بما تحداهم أن يأتوا بمثله، وكيف يفسرون تفوق كلام القرآن على سائر كلامهم، فحالهم كحال القائل:

وهبني قلت هذا الصبح ليل أيعمى العالمون عن الضياء[٣]

والقائل: وفي تعب من يجحد الشمسَ نورَها ... ويجهد أن يأتي لها بضريب[٤]

---

١. رواه الترمذي. محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، المعروف بسنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٥، ص٢٦١. ومحمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج٧، ص٢١٣. والحاكم وصححه، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٩٩١م، ج٢، ص٣٤٥. وصححه الألباني، انظر محمد ناصر الدين الألباني، صحيح السيرة النبوية، عمان، المكتبة الإسلامية، (ط١) . ص ٢٠٣.

٢. الحسن بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل بيروت، دار المعرفة، (١٤٠٦-١٩٨٦)، ط١ج١، ص١٣٩.

٣- البيت للمتنبي انظر أبو البقاء العكبري، التبيان في شرح الديوان، بيروت. دار المعرفة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٨م. ج١، ص١٠.

٤- المرجع السابق، ج١، ص٥٦. والضريب المثيل، قال العكبري في شرحه: "يقول: من يقدر أن يأتي للشمس بمثل فليأت، فإن لم يقدر فليمت غيظاً". وهو في المقام من أنسب الأبيات.

فأصبح القوم يعرفون ما لا يريدون، وهو الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم لم يعرفوا ماذا يريدون. فتخبطوا فيه أيما تخبط: فمن قائل: قول شاعر، ومن قائل: قول كاهن، ومن قائل: سحر يؤثر، ومن قائل: إنه تعليم بشر، فكانت التهم التي وجهت للنبي صلى الله عليه وسلم تتجه إلى تفسير الظاهرة القرآنية المتفوقة تفسيراً ينأى بها عن مصدرها الحق.

وكان من تلك التهم تهمة الجنون الواردة في آيات عديدة من القرآن الكريم. والتي يشير المعنى الظاهر أنها جاءت تتهم النبي صلى الله عليه وسلم بفقدان العقل، كما اشتهر في أغلب التفاسير. غير أن الباحث لم يجد صدىً لهذه التهمة في التاريخ، ولا في سياق الآيات التي ذكرت لفظة الجنون، فرأى أن يستقريء مفردات هذا البحث للتوصل إلى الراجح في معنى الجنون الذي نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد لحظ الباحث أنه باستثناء لفظة الجنون – التي هي محل البحث –فإنه ما من دليل على وقوع اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون العقلي من واقع السيرة النبوية والأحاديث، وحيث إن المختلف فيه معنى لفظة الجنون، فلا يستدل بها على المطلوب، بل لا بد من التماس الدليل في لغة العرب والسيرة النبوية، والسنة الصحيحة، وسياق الآيات كي تفسر بها الآيات المتضمنة لهذه التهمة تفسيراً دقيقاً.

مشكلة الدراسة

تتلخص مشكلة الدراسة في اشتهار معنى الجنون في التفاسير – في الغالب– بمعنى فقدان العقل. وهو ما يجادل الباحث في وجود دليل يدعمه من اللغة أو السيرة أو سياق الآيات الكريمة.

وسؤال الدراسة الرئيس: هل تدل كلمة مجنون، ومصطلح الجِنة على المرض العقلي، كما هو في أغلب التفاسير، أم معناها النسبة إلى الجن، وتسلط الشياطين كما يدل ظاهر اللفظة ؟

ويحاول الباحث الإجابة عن هذا السؤال عبر الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

١– ما المعنى الشائع للفظة الجنون ؟

٢– هل يدل المعنى اللغوي للفظة الجنون على المرض العقلي ؟

٣– هل استعمل العرب لفظة الجنون بمعنى المرض العقلي في زمن نزول القرآن ؟

٤– ما معنى تهمة الجنون التي وجهت للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل المشركين كما تدل عليه الأدلة ؟

٥- ما السياق العام لورود التهمة في السيرة النبوية، وفي آيات القرآن الكريم ؟

٦- ما تفسير الآيات التي تضمنت التهمة بناء على المعنى الراجح ؟

فرضية الدراسة:

إن كلمة "مجنون"، وتعبير "به جنة" يعنيان تسلط الجن على النبي صلى الله عليه وسلم والكلام على لسانه بالقرآن . ولا يوجد في أي مصدر ما يدل على أن خصوم النبي صلى الله عليه وسلم قد اتجهوا إلى اتهامه بفقدان العقل، أو بعدم الاتزان العقلي.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث فيما اطلع من الدراسات دراسة تتضمن الإجابة عن تساؤلات الدراسة، وذلك لتسليم الباحثين بالمعنى المشتهر للجنون، ولأن الآيات ذات الصلة لم تدرس دراسة شاملة.

منهج الدراسة:

نهج الباحث في الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي، فتتبع جزئيات البحث في كتب اللغة وكتب التفسير وكتب السيرة والسنة النبوية، ثم حلل دلالاتها الجزئية، ثم بنى استنتاجاته في ضوء دلالة الأدلة.كما استخدم الباحث منهج البحث اللغوي والتطور الاصطلاحي، كما استخدم منهج الترجيح بالسياق في تفسيره الآياتِ الكريمةَ.

وقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: القول الشائع في تفسير لفظة الجنون.

المبحث الثاني: معنى الجنون في اللغة وزمن التنزيل، ومقصود الكفار منها. ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خصصه الباحث للبحث اللغوي في أصل اللفظة.

والمطلب الثاني:خصصه الباحث لتتبع معنى اللفظة زمن التنزيل.

والمطلب الثالث:خصصه الباحث لمعنى التهمة كما قصدها من أطلقها من الكفار في حق النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: معنى الجنون في آيات القرآن. ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: خصصه الباحث للحديث عن سياق التهمة.

المطلب الثاني:خصصه الباحث لتفسير الآيات وفق المعنى الراجح للجنون

الخاتمة وضمنها الباحث حصاد الدراسة.

المبحث الأول:

القول الشائع في تفسير الجنون

في هذا المبحث يرصد الباحث أقوال المفسرين في معنى لفظة الجنون التي وردت في سياق اتهام المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم بهذه التهمة، والتي تتجه أقوالهم في الأغلب إلى أن المراد بها هو الخلل العقلي كما أسلف الباحث في شرح مشكلة الدراسة. ويورد الباحث ما يثبت هذه الحقيقة من خلال أمرين:

الأول: عبارات المفسرين في شرح معنى اللفظة، وتفسير الآيات[1] بناء على ذلك المعنى. والثاني: شرح بعض المفسرين لعلة اتهام المشركين النبيَّ عليه الصلة والسلام بهذه التهمة.

الآية الأولى

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾(الأعراف ١٨٤)

اكتفى بعض المفسرين بتفسير لفظة "جنة" بأنها "جنون"[2]. وذهب غيرهم إلى تفسيرها بما يفيد معنى الخلل العقلي قال الطبري :" أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ، فيتدبروا بعقولهم. ويعلموا أن رسولنا الذي أرسلناه إليهم، لا جنة به ولا خبل"[3]. وقال البقاعي في النعي على من اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه التهمة "لأنه أمتنهم عقلا وأفضلهم شمائل"[4]. وقال ابن عاشور في تسخيف هذا القول:"وفي هذا استغباء أو

---

١. والآيات بترتيب المصحف هي الأعراف آية ١٨٤،والحجر آية ٦،والمؤمنون آية ٧٠،وسبأ آية ٨، وآية ٤٦، والصافات آية ٣٦ . والدخان آية ١٤،والطور آية ٢٩،والقلم آية ٣ وآية ٥٢، والتكوير آية ٢٢.

٢. محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الفكر.دت.(دط)، ٢،ص١٣٣. وانظر عبد الله بن عمر القاضي البيضاوي (٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،بيروت، دار الكتب العلمية ،(ط١)،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١،ص٣٦٩. ومحمد بن محمد الصديقي البكري (ت ٩٥٢هـ) تفسير البكري، تح:أحمد فريد المزيدي، بيروت،دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠م، ج١،ص٤٤٩.

٣. محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت،دار إحياء التراث العربي، ط١، دت .ج٩، ص١٦٢.

٤ – ابراهيم بن عمر البقاعي، (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. (ط١). ٣–ص١٦٢. وانظر الحسن بن محمد القمي

تسفيه لهم بأن حاله لا يلتبس بحال المجنون للبون الواضح بين حال النذارة البينة وحال هذيان المجنون"[1]. ونفى القاسمي أن يكون لمعنى اللفظة هنا علاقة بالجن، قال:"وليس المراد به الجن كما في قوله تعالى﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾(الناس ٦) لأنه يحوج إلى تقدير مضاف، أي مس جنة أو تخبطها"[2].

كما إن في سبب النزول الذي أورده المفسرون للآية ما يشير إلى قصدهم إلى معنى الخلل العقلي فقد روى الطبري سبب نزول الآية عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا، فدعا قريشا، فجعل يفخذهم فخذا فخذا: "يا بني فلان، يا بني فلان "!فحذرهم بأس الله، ووقائع الله، فقال قائلهم: "إن صاحبكم هذا لمجنون! بات يصوّت إلى الصباح أو: حتى أصبح!" فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[3]. فمعنى الجنون في سبب النزول هو الخلل العقلي. ورغم ضعف الحديث إسناداً، وكونه مرسلاً إلا إن استشهاد المفسرين[4] به يدل على اعتبارهم معنى الخلل العقلي في تفسيرهم للفظة "جنة".

النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان،بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ /١٩٩٦،ج٣،ص٣٥٦. و عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت،عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،ج٣، ص١٢٣.

١. محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي،(ط١)، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م،ج٨،ص ٣٧٠.

٢. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل،بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٣،ص٦٧٥.

٣. الطبري، جامع البيان،ج٩،ص ١٦٣. قال محقق تفسير ابن كثير:" أخرجه الطبري عن قتادة مرسلاً بصيغة التمريض،وهذا ضعيف" انظر إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت،دار الكتاب العربي، تح: عبد الرزاق المهدي، (ط١)،(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)،ج٤،ص٢٤.

٤. انظر الزمخشري، الكشاف،ج٢،ص١٣٣.وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤،ص٢٤. والفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، إيران، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، دط، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ٤،ص٤٣٦. والخطيب الشربيني (ت٩٧٧)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ط١)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ٢،ص٢٩١. ومحمد بن عبد الرحمن الإيجي (ت ٩٠٥)، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٤/١٤٢٤م، (ط١)،ج١، ص٦٧٦. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج١،

ويمكن أخذ هذا المعنى كذلك من الأسباب التي ذكرها المفسرون لإطلاق المشركين هذه التهمة؛ فقد ذكروا أسباباً تدل على تصورهم للجنون بمعنى الخلل العقلي. ومن ذلك قول الماتريدي: "ويحتمل أن تكون نسبتهم إياه إلى الجنون لما حرم عليهم من عبادة الأصنام والأوثان ... وهم قد رأوا العقلاء منهم قد عبدوها ولم يحرموا ذلك فنسبوه إلى الجنون"[1]. وقال المراغي: "وقد جرت عادة الكفار أن يرموا رسلهم بالجنون، لأنهم ادعوا أن الله خصهم برسالته ووحيه على كونهم بشرا كغيرهم لا يمتازون من سائر الناس بزعمهم، ولأنهم ادعوا مالم يعهد له نظير عندهم"[2].

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر ٦)

فسرها معظم المفسرين بجنون العقل؛ قال البيضاوي: والمعنى "إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله تعالى نزل عليك الذكر"[3]. قال المراغي في معنى قولهم: "إن

ص٣٦٩. وأحمد بن محمد الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، عناية القاضي وكفاية الراضي، المعروف بحاشية الشهاب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧،(ط١)، ج٤،ص٤١١. وسليمان بن أحمد الطبراني، تفسير الطبراني، تحقيق: هشام البدراني، الأردن، دار الكتاب الثقافي، ط١، ٢٠٠٨، ٣، ص٢٢٢. ومحمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، بيروت، دار المعرفة، مصورة عن الطبعة الأولى، ج٩،ص٤٥٥. وناصر مكارم الشيرازي تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت،دار الأميرة،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٥، ص١٩٦.وعبد الحق بن غالب بن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (فاس: المجلس العلمي، دط، ١٩٧٥م)،ج٢،ص٤٨٣.و النيسابوري، غرائب القرآن، ج٣، ص٣٥٦.

١. محمد بن محمد الماتريدي الحنفي (ت٣٣٣)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، الرسالة ناشرون،ط١،١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م،ج٢،ص٣١٣. بتصرف. وانظر النيسابوري،غرائب القرآن ج٣،ص٣٥٥. وفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب ،بيروت دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١٥،ص٦٢. واسماعيل بن محمد الحنفي القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٨ج،ص٥٦٠.

٢. رشيد رضا، المنار ج٩، ص٤٥٥.وأحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي(ت ١٣٧٨هـ)،بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج٩،ص٤٤٩.

٣- البيضاوي ،أنوار التنزيل،ج١، ص٥٢٦.وانظر عبد الله بن أحمد النسفي (ت١٧٠هـ/١٣١٠م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل،دار إحياء الكتب العربية، دت، (دط)،ج١،ص٦٦٠. وأحمد بن محمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،بيروت،دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٦هـ/٢٠٠٥م، ج٣،ص٣٨٨.

ما تقوله أملاه عليك الجنون، وليس له معنى معقول، وهو مخالف لآرائنا، بعيد من معتقداتنا، فكيف نقبل ما لا تقبله العقول"[1]. قال سيد طنطاوي: ""إنك لمجنون :"فاسد العقل"[2]. والمعنى عند بعض العلماء: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أي "لقد ذهب عقلك، ولو كنت عاقلاً ما ادعيت النبوة"[3].

وعند ذكرهم لسبب التهمة ظهر من كلام المفسرين ما يدل على المقابلة عندهم بين الجنون والعقل قال الماتريدي: "لما رأوه أنه قد أظهر الخلاف لذوي العقول منهم والأفهام فرأوا أنه ليس مخالفا أهل العقول والفهم إلا مجنون فيه سموه مجنونا"[4].

الآية الثالثة

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ (المؤمنون ٧٠)

فسر أغلب المفسرين "الجنة" بالجنون العقلي، ويورد الباحث بعض هذه الأقوال:

قال الطبري: "يقول : أيقولون بمحمد جنون، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول؟!... وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له، ولا يعقل ولا يفهم"[5].

واسماعيل حقي البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن، بيروت،دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣،ج٤، ص٤٦٨. وشرحه بأنه نقصان العقل انظر الصفحة نفسها. ووهبة الزحيلي، المنير،بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م،ج١٤،ص١٤.

١. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي،ج١٤،ص١٤٨. والسعدي، تيسير الكريم الرحمن،ج٥،ص٣٦٤.

٢. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، القاهرة، دار المعارف، دط، دت، ج٨، ث١٧.

٣. عايض القرني، التفسير الميسر، مكتبة العبيكان، ص٣٧٦.

٤. الماتريدي، تفسير القرآن العظيم، ج٣،ص٤٠.وانظرالشربيني، السراج المنير،ج٣،ص٢٨٣. بتصرف. وانظر عمر بن علي بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج١١،ص٤٣٠. الشيرازي الأمثل، ج٨، ص١٠.

٥ – الطبري جامع البيان، ج١٨،ص٥٣. وانظر البقاعي، نظم الدرر،ج٥،ص٢١٢. وابن عطية،المحرر الوجيز،ج٤، ص١٥١.والنسفي، مدارك التنزيل،ج٢،ص١٤٠.والبروسوي،روح البيان،ج٦،ص١٠٢.وابن عجيبة، البحر المديد،ج٥ ،ص٢٨. وعبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي (ت٦٦١)، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م،ج٥،ص١٤١.والشهاب الخفاجي،حاشية الشهاب،ج٦،ص٥٩٣.

قال البروسوي: "لأن الجنون حائل بين النفس والعقل"[1]. قال الزمخشري في نعيه على القائلين: "الجنة: الجنون، وكانوا يعلمون أنه بريء منها وأنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم ذهناً"[2].

وفسروا سبب التهمة في الآية بأن" كيف يحدث العاقل بإنشاء خلق جديد بعد الرفات والتراب"[3]. وبأنه عليه الصلاة والسلام "جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه"[4].

الآية الرابعة

قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾(سبأ ٨)

دلت كلمات أغلب المفسرين على إرادتهم معنى الخلل العقلي في الآية الكريمة، ومن هذه العبارات: قال الطبري: " أم مجنون فيتكلم بما لا معنى له"[5]. قال البروسوي: "أي جنون واختلال عقل"[6] وقال: "والجنون حائل بين النفس والعقل" قال القونوي: "كأنه قيل ليس الأمر كما زعموا بل هو عليه السلام على عقل تام يعادل عقل الأولين والآخرين"[7].

---

١. البروسوي، روح البيان، ج٧،ص٢٦٢.

٢. الزمخشري الكشاف،ج.٣ص٣٦. البيضاوي،أنوار التنزيل،ج٢،ص١٠.ومحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت، دار الفكر،دط، دت،ج٣، ص٥٤. ومحمد بن محمد القمي المشهدي،كنز الدقائق وبحر الغرائب،طهران،وزارة الثقافة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٩،ص٢٠٠. ومحمد أبو زهرة،زهرة التفاسير. القاهرة،دار الفكر العربي، د ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. ج١٠،ص٥٠٩٤.

٣. محمود بن عبد الله الآلوسي (١٢٧٠هـ)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت،دار إحياء التراث العربي،ج٢٢،ص١١٠ بتصرف.

٤. الزمخشري الكشاف،ج٣،ص٣٦. البيضاوي، أنوار التنزيل،ج٢،ص١٠٨.والشربيني، السراج المنير،ج٤،ص٣٤٩. ابن عجيبة البحر المديد،ج د،ص٢٨.والشيرازي، الأمثل، ج١٠،ص٢٩٨.

٥ – الطبري، جامع البيان،ج٢٢، ص٧٦. الإيجي، جامع البيان،ج٣،ص٣٧٥. وانظر الشيرازي الأمثل، ج١٣،ص د ٢٥. الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب،ج٧،ص د ٥٢ ابن عادل اللباب،ج١٦،ص١٧.محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤، ج٢٢ ،ص٣٥٩.والصابوني صفوة التفاسير. القاهرة: دار الصابوني.ج٢،ص٥٤٦.

٦ – البروسوي، روح البيان .ج٧،ص٢٦٣.وانظر الشربيني، السراج المنير، ج٦،ص٤٧. والنيسابوري غرائب القرآن، ج د،ص٤٨.

٧ – القونوي، حاشية القونوي،ج١د،ص٤٥٦. وانظر السعدي تيسير الكريم الرحمن،ج٦،ص٢٦٢.

الآية الخامسة

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ (سبأ ٤٦)

من خلال عبارات المفسرين في التفسير ومن خلال تعليل التهمة فإن معظم المفسرين على معنى فقدان العقل. قال الماتريدي: "اتهموه بجنون العقل"[١] وقال الزمخشري: "أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا ولآخرة جميعاً، لا يتصدّى لادعاء مثله إلاّ رجلان: إمّا مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز، بل لا يدري ما الافتضاح، وإمّا عاقل راجح العقل مرشح للنبوّة مختار من أهل الدنيا، وقد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرجح قريش عقلاً وأرزنهم حلماً وأثقبهم ذهناً"[٢]. وفي المقابلة بين المجنون والعاقل في كلام الزمخشري دلالة على أن معنى الجنون هنا هو عكس العقل.وقال الشهاب الخفاجي: "والتعبير بصاحبكم للإيماء إلى أن حاله معروف مشهور بينهم، لأنه نشأ بين أظهرهم معروفا بقوة العقل، ورزانة الحلم"[٣].

الآية السادسة

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصافات ٣٦)

قال المراغي: "(لشاعر مجنون) شاعر يخلط ويهذي"[٤]. وقال البروسوي: "وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأحسنهم رأياً"[٥]. ويظهر من المقابلة التي ذكرها المفسرون في النعي على أصحاب هذه التهمة أن المفسرين استدعوا معنى الخلل العقلي، قال البقاعي

---

١. الماتريدي،تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص١٦١.

٢. الزمخشري،الكشاف، ج٣،ص٢٩٤ بتصرف. والرسعني الحنبلي،رموز الكنوز،ج٦،ص٢٥٦.والآلوسي،روح المعاني، ج٢٢، ص١٥٤.ومصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (ت ٨٨٠هـ)، حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م،ج١٥،ص٥٣٦. والبروسوي روح البيان، ج٧،ص٣٠٦. والنيسابوري غرائب القرآن، ج٥،ص٥٠١. ابن عادل، اللباب،ج١٦،ص٨٤. انظر القونوي، حاشية القونوي،ج١٥،ص٥٣٦.

٣.الشهاب الخفاجي حاشية الشهاب ج٧،ص٥٥٩.وانظر البيضاوي أنوار التنزيل،ج٢،ص٢٦٥. وابن جزي، التسهيل ،ج٣،ص١٥٣.والطباطبائي، الميزان، ج٢٢،ص٣٨٨.

٤.المراغي، تفسير المراغي،ج٢٣،ص١٦٩.

٥.البروسوي، روح البيان ،٧-ص٤٥٤. وانظر الإيجي، جامع البيان، ج٣،ص٣٩٤.

مبيناً تناقضهم: "فإن الجنون لا نظام معه، والشعر يحتاج إلى عقل رصين وقصد قويم وطبع في الوزن سليم"[1].

الآية السابعة

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾(الدخان ١٤)

قال الطباطبائي في تفسيرها: "رموه أولا بأنه معلم، يعلمه غيره، وثانيا بأنه مجنون مختل العقل"[2].

ونلحظ في هذه الآية تُرْكُ العطف بين الصفتين مما يدل على إمكان اجتماعهما، لكن استدعاء معنى الخلل العقلي يجعل اجتماعهما مستحيلاً كما رأى ذلك بعض العلماء، قال ابن عاشور "والمعلَّم الذي يعلِّمه غيرُه، ولا يصح أن يكون قولاً واحداً في وقت واحد لأن المجنون لا يكون معلّماً، ولا يتأثر بالتعليم"[3]. لذا فقد رأى أغلب المفسرين تقدير العطف، وأولوه بتعدد القائلين أو بتعدد المرات قال الزمخشري: "وبهتوه بأن عداساً غلاماً أعجمياً لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون"[4]. واختار أبو السعود توزيع القائلين أو التوزيع الزماني ولم يرجح بينها، قال: "أي قالوا تارة: يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وأخرى مجنون، أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا"[5]. واختيار المفسرين تقدير العطف بين صفة التعليم والجنون رغم عدم وجود العاطف، لتجنب اجتماع صفتين متناقضتين في رأيهم صفة التعليم التي تحتاج إلى عقل وصفة الجنون العقلي.

---

١. بقاعي نظم الدرر، ج٦،ص٣٠٨. الماتريدي، تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص٢٢٦. ومثله الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب،ج٨،ص٧٢. وأبو حيان،البحر المحيط،ج٧،ص٣٤٣.

٢. الطباطبائي، الميزان، ج١٨،ص١٣٧. وانظر طنطاوي، التفسير الوسيط،ج١٣،ص١٢١.

٣. ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٥،ص٣١٩– ٣٢٠. بتصرف. وانظر البقاعي، نظم الدرر،ج٧، ص٦٨.

٤. الزمخشري، الكشاف،ج٣،ص٥٠٢. النيسابوري، غرائب القرآن،ج٦،ص١٠٤.وابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥ ،ص٧٠. وابن عجيبة،البحر المديد،ج٧،ص٤٥.والبروسوي، روح البيان،ج٨،ص٥٣ ٤. وانظر النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص٥٣٧. و الصابوني،صفوة التفاسير، ج٣،ص١٦٠.

٥. محمد بن محمد أبو السعود العمادي (ت٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،بيروت، دار إحياء التراث العربي،ج٨،ص٦١. وانظر الزمخشري،الكشاف،ج٣،ص٥٠٢. وانظر النسفي، مدارك التنزيل، ج٤، ص١٢٤. والمراغي تفسير المراغي، ج٢٥،ص١٠٢.

الآية الثامنة

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾(الطور ٢٩)

قال البروسوي في تفسيرها: ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾: "وهو من به جنون، وهو زوال العقل أو فساده"[١]. وقال الشربيني: ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾: أي تقول كلاما لا نظام له"[٢]. السعدي قال: {وَلَا مَجْنُونٍ} فاقد للعقل، بل أنت أكمل الناس عقلا"[٣]. وقال المراغي في بيان فساد قولهم :"ثم ذكر تناقض أقوالهم لينبه إلى فساد آرائهم، فإن الكهان كانوا من الكملة وكان قولهم مقنعاً، فأين هذا من الجنون"[٤].

الآية التاسعة

قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾(القلم ٢)

قال ابن عطية :" وسبب هذا أن قريشا رمت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون وهو ستر العقل بمعنى أن كلامه خطأ ككلام المجنون"[٥]. وقال البقاعي :"ولما نفى سبحانه عنه صلى ما قالوه ثبت له صلى كمال العقل، والمجنون من لا يكون له عمل ينتظم ولا قول يرتبط"[٦]. ونعى الماتريدي عليهم قولهم من واقع أنه لا يجتمع الجنون مع ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الذي "يعجز حكماء الجن والإنس عن إتيان مثلها، وليس ذلك من علم المجانين"[٧]. "ولأن الله تعالى يختار لرسالته أعقل الناس"[٨].

---

١. البروسوي، روح البيان، ج٩، ص١٩٨.

٢. الشربيني، السراج المنير، ج٧، ص١٧٧.

٣. السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ج٧، ص١٩٤، وانظر محمد بن يوسف الوهبي، هميان الزاد إلى دار المعاد، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، دط، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج١٤، ص٣٦١.

٤. المراغي تفسير المراغي ٢٧-ص٣١٤. بتصرف

٥. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، ص٣٤٦. بتصرف.

٦. البقاعي، نظم الدرر، ج٨، ص٩٥ بتصرف. وانظر الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص١٤١. والبيضاوي أنوار التنزيل ٢، ص٥١٤. والشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب، ج٩، ص٢٣٥.

٧. الماتريدي، تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص٢٠٨.

٨. أحمد إسماعيل نوفل، التفسير المنهجي، دار المنهل، ط١، ٢٠٠٤هـ ج١٠، ص١٢٣.

الآية العاشرة

قوله سبحانه: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم ٥١)

قال الزمخشري: "ويقولون إنه لمجنون: حيرة في أمره وتنفيرا عنه وإلا فقد علموا أنه أعقلهم"[١]. وأشار البروسوي إلى التناقض بين مضمون القرآن وعقل من جاء به، وبين الجنون[٢]. وقال فضل الله رداً على احتمال أن يكون معنى الجنون تسلط الجن على الإنسان: "ونلاحظ أن هذا الاحتمال غير ظاهر، لأن إلقاء الشياطين له لا يعني جنونه إذ لم يكن الكلام يوحي بالذهنية الجنونية في طبيعته"[٣].

الآية الحادية عشرة

قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (التكوير ٢٢)

قال البقاعي: "فما القرآن الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول متوسط في العقل، بل قول أعقل العقلاء وأكمل الكملاء"[٤]. وقال البروسوي: "وقد جربوا عقله فوجدوه أكمل الخلائق"[٥]. قال البغوي: "وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وما يقول يقوله من عند نفسه"[٦]. ومن يرى الجنون العقلي يرى أن القرآن يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم من عند نفسه كما قال البغوي وتبعه الشوكاني[٧].

---

١. الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص١٤٨. والبروسوي، روح البيان، ج١٠، ص١٣٠. المراغي، تفسير المراغي ج٢٩، ص١٨١. وفيصل بن عبد العزيز آل المبارك، توفيق الرحمن في دروس القرآن، تح: عبد العزيز آل حمد، الرياض، دار العليان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. ج٤، ص٣٤٢. الزحيلي، التفسير المنير، ج٢٩، ص٥٥.

٢. البروسوي، روح البيان، ج١٠، ص١٣٠.

٣. محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، بيروت، دار الملاك، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٢٣، ص٦١.

٤. البقاعي، نظم الدرر، ج٨، ص٣٤٣. السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ج٧، ص٥٧٩. الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، دمشق دار القلم، ج١، ص٤٢٦.

٥. البروسوي، روح البيان، ج١٠، ص٣٥٧. الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب ٩—ص٤٣٠. المراغي، تفسير المراغي، ج٣٠، ص٣٤٤. والصابوني، صفوة التفاسير، ج٣، ص٥٢٤.

٦. البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٤٥٣.

٧. انظر محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، فتح القدير، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، (ط١)، ج٥، ص٤٧٥.

فنتج مما سبق أن معظم أقوال المفسرين تتجه إلى تفسير الجنون في الآيات السابقة بأنه الخلل العقلي[1]. وهو ما يجادل فيه الباحث، وفيما يأتي يناقش الباحث هذه المسألة.

* * *

١. ليس بالضرورة التزام المفسر بمعنى واحد للجنون في جميع مواطن وروده، بل سيظهر أن بعض المفسرين يفسر بعض الآيات بالمعنى الشائع. والآيات الأخرى بالمعنى الراجح في هذه الدراسة. وفي مواطن أخرى يترك المفسر تفسير اللفظة ذهاباً منه إلى وضوح معناها.

المبحث الثاني

معنى الجنون في اللغة وزمن التنزيل ومقصود الكفار منها

المطلب الأول: البحث اللغوي

يتأثر موضوع الدراسة بالبحث اللغوي إلى حد بعيد، فإذا ثبت أن كلمة المجنون تعني من مسه الجن دون ما اشتهر من استعمالها في فاقد العقل مطلقاً- فيدل ذلك على معنى التهمة المراد التحقق من معناها في هذا البحث.

ويلحظ بدءاً أن لفظة الجنون قد أصبحت بالعرف اللغوي الحادث تدل على فقدان العقل، وتنوسي سر التعبير ب "جن" بدلاً عن الألفاظ التي اعتادت العرب إطلاقها على من فقد عقله. إلا إن المتتبع للمعنى اللغوي في المعاجم اللغوية يجد أن أصل الجنون من الفعل جنّ "وجَنَّ الشيء يَجُنُّه جَنّاً ستره، وبه سمي الجِن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أُمّه"[1]. و"يقال لكل ما سَتر جنَّ وأجنَّ"[2]. قال الراغب: " أصل الجن الستر عن الحاسة"[3]. "والجنة بالكسر طائفة من الجن، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(هود ١١٩)"[4].

وقد اشتهر منه صيغة المفعول "المجنون" والمصدر الجنون، واشتهر بمعنى فقدان العقل، لكن الناظر في اللغة العربية يجد أن فقدان العقل مشترك بين عدة ألفاظ، لكنه اشتراك عام لا يعني الترادف الذي يتنافى مع الدقة البالغة للغة القرآن، مما يجعل الباحث يتساءل عن سر تعبير العرب بالجنون دون غيره في بعض السياقات.

---

١. محمد بن منظور الأفريقي (٧١١هـ/)،لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، (ط١)، مادة جنن. وعلي بن اسماعيل بن سيدة (ت٤٥٨)، المحكم والمحيط الأعظم،بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ٢٠٠٠م.ج٢١٤.

٢. ابن منظور، لسان العرب، مادة جنن.

٣. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤/ ١٤٢٥)، (ط١)، مادة جنن.

٤. الزبيدي، تاج العروس، مادة جنن. وانظر محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق:علي حسن هلالي، الدار المصرية للتأليف والترجمة،دط.دت. ج١٠،ص٤٩٦.

لمعرفة ذلك يرى الباحث ضرورة دراسة بعض الألفاظ الدالة على فقدان العقل، وخصوصية كل لفظة، وأين تطلق ؟ ومن هذه الألفاظ :

١- السّبه :وهو "ذهاب العقل من هرم"[١]. "وسُبِهَ -كعُنِيَ- سبهاً:ذهب عقله هرماً فهو مسبوه"[٢].

٢- الوَلَه: ذهاب العقل، والتحير من شدة الوجد"[٣]. ومثله التيم وهو"ذهاب العقل وفساده من الهوى"[٤]. وخصه الخليل "بذهاب العقل والفؤاد من فقدان حبيب"[٥].

٣- - التّسهيب ذهاب العقل، ورجل مُسْهَب ذاهب العقل من لدغ حَيّةٍ أو عَقْرَبٍ. و أُسْهِب السَّليم[٦] إسْهاباً فهو مُسْهب إذا ذهب عقلُه[٧]. وهو معنى مخصوص لفقدان العقل.

٤-الهُتْرُ بالضمّ : ذهاب العقل من كبرٍ أو مرضٍ أو حُزن[٨].

٥- الكَلابُ: ذهاب العقل من الكَلَب[٩]. والكَلَبُ بالتحريك داءٌ يعْرض للإنسان من عضّ الكَلب الكَلِب فيصيبه شبهُ الجنون[١٠].

---

١. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال، مادة سبه. وابن منظور، لسان العرب، مادة سبه.

٢. محمد بن محمد السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس شرح القاموس، مادة تيم.

٣. محمد بن أبي بكر الرازي ،مختار الصحاح،تحقيق: يحيى خالد توفيق،القاهرة، مكتبة الآداب،(ط١)،١٤١٨هـ/١٩٩٨م، مادة وله.

٤. الزبيدي، تاج العروس، مادة وله.

٥. الخليل، العين، مادة وله.

٦. السليم أي اللديغ "وانما سمى اللديغ سليما ومسلوما لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى كما قالوا للفلاة مفازة تفاؤلا بالفوز والسلامة"انظر، الزبيدي، تاج العروس ، مادة سلم.

٧. ابن منظور،لسان العرب، مادة سهب، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة سهب.

٨. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨٧١هـ)، القاموس المحيط، تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧/١٩٩٧م،(ط١)، مادة هتر.

٩. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة كلب.

١٠. محمد بن منظور الأفريقي (٧١١هـ)، لسان العرب، مادة كلب.

٦- العته: والمعتوه - قال الفيروزآبادي -:"من نقص عقله أو فقد أو دُهش"[١]. قال ابن منظور:" المَعْتُوه المجنون المُصاب بعقله، والعُتْه لا عقل له"[٢]. "والمعتوه نوع من المجانين"[٣]. وحدّه بعضهم بأنه :الذي لا تمييز له ولا عقل بمنزلة المجنون[٤]. "والمَعْتُوه المدهوش من غير مسّ وجنون"[٥].

٨- الأولق: الأولق الأحمق. أو شبه المجنون[٦]. وأصله الخفة وشدة السرعة، ويُشبّه شديد السرعة بالمجنون بجامع الخفة وسرعة الحركة. "ومنه قول الأعشى في ناقته :

وتُصبِح عن غِبِّ السُّرى وكأنّها ألَمَّ بها من طائِف الجِنِّ أوْلَقُ[٧]

فجعلها بسرعة مشيها ونشاطها كالمجنون"[٨]. أي كالذي مسته الجن، كما هو نص البيت.

يتحصل مما سبق أن العرب تقرن فقدان العقل بسببه؛ فإذا كان من الكلب سمي كَلاباً، وإذا كان من الهوى والوجد سمي ولهاً، وإذا كان من اللدغ سمي إسهاباً. فإذا جئنا إلى الجنون وجدنا العرب تقرنه بسببه وهو الجن، قال شهاب الدين المصري:"﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ (البقرة ٢٧٥): أي الجنون، يقال رجل ممسوس أي مجنون"[٩]. وذهب

---

١. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة عته.

٢. ابن منظور،لسان العرب، مادة عته.

٣. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، بيروت دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، (ط١)، ١٤١٠م،ج١، ص٢٣٦.

٤. محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق : د. محمد جبر الألفي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، (ط١)، ١٣٩٩هـ ج١،ص٣٠٤

٥. ابن منظور،لسان العرب، مادة عته . والخليل بن أحمد، العين، مادة عته.

٦. ابن منظور،لسان العرب، مادة ألق .

٧. ديون الأعشى، بيروت، دار الجيل، دط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص١٨١. وهي من القصيدة التي مطلعها: أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشق

٨. محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣، (ط٢)، ج٣،ص ٢٢٩.

٩. شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت ٨١٥هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق : د.فتحي أنور الدابولي. ، القاهرة،دار الصحابة للتراث، ط١٩٩٢،١م، ج١،ص١٣٩.

الثعالبي إلى أن الجنون درجات، وأن من درجاته "من به رئيٌ من الجن، ومن به مسٌ من الجن"[1].

ولا يعرف – في الواقع – متى اقترن الجنون بمعنى المس – وهو المعنى اللغوي، وهو المعروف في زمن التنزيل كما سيأتي – بالمرض العقلي، فهجرت كل تلك الألفاظ التي تدل على ذهاب العقل وبقيت كلمة جنون.

والخلاصة أن العرب تطلق الجنون وتريد به في الأصل تسلط الجن بالمس على ابن آدم.

ويخالف الباحث من ذهب إلى إن المجنون من غطي عقله[2]، ولتفسير هذا الرأي يرى الباحث أن من اجتهد في تطبيق معنى الستر على العقل رأى أن عملية النقل من الأصل اللغوي "الستر" إلى معنى الجنون تمت عند أصحاب هذا الرأي في مرحلة واحدة، فأخذ الجنون من ستر العقل.

الستر ← ستر العقل، فالجنون تغطية العقل فهو الخلل العقلي، ولا خصوصية لاستخدام اللفظة دون غيرها. وهو معنى اجتهادي لا تدل عليه المعاجم. لذا أشار إليه الراغب الأصفهاني بأنه أحد الأقوال في تفسير معنى المجنون، ونقله بصيغة التمريض الدالة على عدم ترجيحه. قال الراغب "وقيل : حيل بين نفسه وعقله، فجن عقله بذلك"[3].

ووفق رأي الباحث فإن العرب تعرف الجنن بمعنى الستر، ثم سمّت الجن بهذا لاستتارهم، ثم أطلقت المجنون على من مسته الجن. فعملية النقل مرت بمرحلتين:

الجنن: الستر ← الجن هم المستترون ← المجنون من تخبطته الجن، وسمي مجنوناً أخذاً من السبب الخاص لاختلال عقله. وتعريف الإمام النووي له

---

١. أبو منصور إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، فقه اللغة وسر العربية، بيروت، دار الكتب العلمية، دط، دت، ص١٣٦. وانظر إبراهيم اليازجي، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٠م، ص١١٢.

٢. الآلوسي، روح المعاني، ج٢٧، ص٣٧.

٣. الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة جنن.

يشير إلى العملية المشار إليها قال النووي:"المجنون الذي ألمت به الجن، سموا بذلك لاستتارهم"[1].

ثم حدث التلازم العرفي بين ذهاب العقل ولفظة الجنون وهجرت الكثير من الكلمات الدالة على الخلل العقلي الذي سببه غير الجن كما أسلف الباحث.

المطلب الثاني: اللفظة في زمن التنزيل

يهدف هذا المطلب إلى إثبات كون العرب زمن الرسالة تعرف الجنون بمعنى تسلط الجن القهري على ابن آدم وغلبته على إرادته وتصرفاته.

كانت العرب تعتقد بإمكانية تسلط الجان على الإنس بالوسوسة وغيرها، وبخاصة الصرع أو الخنق. ومن الأدلة على ذلك:

الأول: الحديث عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت: بلى. قال:هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك؟ فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها"[2].

وفي رواية أحمد"جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بها لمم فقالت.. الحديث"[3]. وفي رواية المستدرك "ذكرت أن بها طيفاً من الشيطان"[4]. فتحصّل أن المرأة عانت من الصرع بسبب من تسلط الجن عليها، كما قال ابن حجر :"أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط"[5]. وجاء في ترجمتها عند ابن عبد البر:

---

١. يحيى بن شرف النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق : عبد الغني الدقر، دمشق، دار القلم، (ط١)، ١٤٠٨هـ ج١،ص٤١ .

٢. البخاري، الصحيح، ج٥،ص٢١٤٠.

٣. أحمد بن حنبل، (٢٤١هـ) . المسند ،ج ٢،ص٤٤١،قال المحقق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

٤. الحاكم، المستدرك، ج٤،ص٢٤٣. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. قال الذهبي: على شرط مسلم.

٥. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،(٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ ج١٠،ص١١٥.

" أم زفر التي كان بها مس من الجن"[1]. قال بن حجر:" وجاء في حديث المرأة التي كانت تصرع قولها "بي هذه المؤتة": بضم الميم بعدها همزة ساكنة يعني الجنون"[2]. فتسمية ما كان بها جنوناً يدل على أن العرب تعرف الجنون بأنه تسلط الجان على الإنس بحيث يصرعه ويخنقه، ويتحكم به، كما ذكر العيني قال:"وروى البزار من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها قالت: إني أخاف الخبيث أن يجردني"[3].

وعليه فلم تكن تلك المرأة تعاني خللاً عقلياً بل تسلطاً بدنياً ذكرته بقولها:"بي هذه المؤتة"، وكانت تعي ما يحدث لها من تسلط الجن عليها.

الثاني: حديث الاستعاذة ، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم:"اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم: من همزه ونفخه ونفثه. قيل: وما همزه ونفخه ونفثه ؟ فقال: أما همزه فالموتة، وأما نفثه فالشعر، وأما نفخه فالكِبر"[4]. وفي رواية الطبراني "قال: تدرون ما همزه ؟ قلنا: لا. قال: الجنون من المس"[5]. و"الجُنُون يُسَمَّى هَمْزاً"[6].وقال ابن الأثير:" وفي حديث الشيطان (أمّا هَمْزُهُ فالمُؤتة) يعني الجُنونَ"[7].

وقد دل حديث الاستعاذة على أنها تحمي الإنسان من مس الجن، وعلى أن كلمة جنون تستعمل لما له تعلق بتسلط الجن.

---

١. يوسف بن عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣)، الاستيعاب لمعرفة الأصحاب، ج١،ص٦٢٨.

٢. ابن حجر، فتح الباري، ج١٠،ص١١٥.

٣. بدر الدين محمود بن أحمد العيني،عمدة القاري بشرح صحيح البخاري،بيروت،دار الفكر،(ط١)، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .ج١٤،ص٦٤٨.

٤. أحمد بن حنبل، المسند، ج٦، ص١٥٦. وقال الألباني:" بإسناد صحيح" محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، بيروت، المكتب الإسلامي،(ط٢)، ١٩٨٥م.، ج ٢، ص٥٧.

٥. سليمان بن أحمد الطبراني، مسند الشاميين، بيروت، مؤسسة الرسالة، (ط١)،١٩٨٤م، ج٢، ص٢٨١.

٦. الزبيدي، تاج العروس، مادة همز.

٧. المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث، تحقيق : محمود محمد الطناحي،بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ج٤،ص٨٠٩. و ج٥،ص٦٣٥. و محمود بن عمر الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث، تحقيق : علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ،لبنان، دار المعرفة،(ط٢)، (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ج٤،ص١١٢.

الثالث: في الحديث قال سليمان بن صرد استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس، فأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمرّ وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صى الله عليه وسلم: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لست بمجنون"[1].

قال النووي: "توهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان، ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله، ويتكلم بالباطل، ويفعل المذموم"[2]. وقال ابن حجر:"ظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون، ولم يعلم أن الغضب نوع من شر الشيطان"[3].

ومعلوم أن قصدهم بالجنون تسلط الجن، وليس فقدان العقل، بدليل إرشاده إلى الاستعاذة من الشيطان، وهو ما فهمه ذلك الرجل أن الاستعاذة من الشيطان سببها كون الشيطان متسلطا عليه بجنون، فقال: إني لست بمجنون، لما استقر عندهم من أن الجنون هو من تسلط الجن على ابن آدم.

الرابع: الحديث عن" أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدي عن أبيها أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله فانطلق معه بابن له مجنون، أو ابن أخت له، قال جدي: فلما قدمنا على رسول الله قلت:إن معي ابناً لي أو ابن أخت لي مجنون أتيتك به تدعو الله له. قال: إئتني به. قال فانطلقت به إليه وهو في الركاب. فأطلقت عنه وألقيت عنه ثياب السفر، وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله، فقال: أدنه مني. اجعل ظهره مما يليني. قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ويقول: أخرج عدو الله، أخرج عدو الله، فأقبل ينظر نظر الصحيح،

---

١. البخاري، الصحيح، ج ٥،ص٢٢٤٨. ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،بيروت. دار إحياء التراث،(ط١)، ج٤،ص٢٠١٥.

٢. يحيى بن شرف النووي، المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج،بيروت. دار إحياء التراث العربي، (ط٢)، ج١٦،ص١٦٣.

٣. ابن حجر، فتح الباري، ج١٠،ص٤٦٧.

ليس بنظره الأول، ثم أقعده رسول الله بين يديه، فدعا له بماء، فمسح وجهه، ودعا له، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله يفضل عليه"[1].

والحديث صريح في أن الجنون هنا تسلط الجن على هذا الشاب، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم:"اخرج عدو الله".

الخامس: الأحاديث التي فيها الربط بين لفظ الجنون، وما كان يصيب بعض الصحابة من الإعياء والسقوط، فيظن تسلط الجن عليه. فقد جاء في حديث أبي هريرة قوله:"أتت علي ثلاثة أيام لم أطعم فيها طعاما، فجئت أريد الصفة، فجعلت أسقط، فجعل الصبيان ينادون :جن أبو هريرة"[2].

وإنما قال الصبيان ذلك بسبب سقوطه أرضاً حيث إن المخنوق يصرع الجن يسقط أرضاً. ومثله الأثر في حال أهل الصفة قال فضالة بن عبيد يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى بالناس خرّ رجال من قامتهم في الصلاة لما بهم من الخصاصة، وهم من أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة انصرف إليهم فقال لهم :لو تعلمون مالكم عند الله عز وجل لأحببتم لو أنكم تزدادون حاجة وفاقة"[3].

ومعلوم أنهم سموهم مجانين بجامع سقوط المصروع من الجن على الأرض فظنوهم قد صرعوا.

السادس: حديث خارجة بن الصلت التميمي عن عمه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم، ثم أقبل راجعا من عنده، فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير، فهل عندك شيء تداويه ؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ ، فأعطوني مائة شاة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١. أحمد بن حنبل، المسند، ج٤،ص١٧٢، سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير،ج٥،ص٢٧٥. والحاكم، المستدرك، ج٢،ص٦٧٤. وصححه الذهبي.

٢. ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق:شعيب الأرناؤوط، بيروت،مؤسسة الرسالة، (ط٢)، ١٤١٤/ ١٩٩٣، ج١٤،ص٤٦٨.

٣.أحمد بن حنبل، المسند، ج٦،ص١٨. قال المحقق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.

فأخبرته، فقال: هل قلت غير هذا ؟ قلت: لا. قال: خذها فلعمري لَمَن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق"[1].

وفي الحديث إشارة إلى أن جنون ذلك الرجل مما يعالج بالرقية وهي الفاتحة، وفيه إشارة إلى أن هذا الجنون له علاقة بالجن.

السابع: تفسير تخبط الشيطان بالجنون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ (البقرة ٢٧٥).

قال القرطبي: " أي إلا قياما كقيام الذي يتخبطه والخبط : الضرب بغير استواء كخبط العشواء وهو المصروع. والمس: الجنون، والأمسُّ : المجنون... وفي الآية دليل على فساد قول من قال : إن الصرع لا يكون من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع ... وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من أن يتخبطه الشيطان كما أخرجه النسائي"[2].

المطلب الثالث: معنى تهمة الجنون عند من أطلقها في حق النبي صلى الله عليه وسلم

تبين مما سبق أن العرب تطلق الجنون وتريد به تسلط الجن على الإنسان. ويتجه هذا المبحث لإثبات أن ما اتهم به النبي صلى الله عليه وسلم هو تسلط الجان عليه، وليس الخبل العقلي بأي حال. بل إن قريشاً كانت وهي تحيك مؤامرتها على النبي صلى الله عليه وسلم تستحضر وفور عقله ، وكانت تستحضر كذلك عجزها عن تفسير ظاهرة الوحي، وما يتضمنه القرآن من علوم لا عهد لهم بها. فلجئوا إلى تفسيرها بمعطيات واقعهم مقرين ضمناً بأن ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم ليس من عنده، بل من مصدر خارجي. وهذه النقطة كافية في الإشارة إلى عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن مع عدم إرادة الإقرار بالنبوة فلجئوا إلى تفسيره بما عندهم من معطيات الواقع العربي، وهو أن يكون مصدر القرآن هو الجن.

---

١. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، السنن، ج٢،ص٤٠٥، وأحمد بن حنبل، المسند، ج٥،ص٢١٠.

٢. القرطبي، الجامع ، ج٣،ص٢٢٩-٢٣٠. والحديث في سنن النسائي.أحمد بن شعيب النسائي، السنن، ج٨،ص٢٨٢.

وعلاقة الإنس بالجان عند العرب تمر بطريقين، الأول: الكهانة، والثاني:تسلط الجان على عقل الإنسان.

قال ابن عطية:"وكانت العرب قد عهدت ملابسة الجن والإنس بهذين الوجهين فنسبت محمدا صلى إلى ذلك فنفى الله تعالى عنه ذلك"[1]. ويتناول الباحث هذين الاحتمالين الذين ووجه بهما النبي صلى الله عليه وسلم.

التهمة الأولى:

الكهانة

ثبت في القرآن الكريم وفي الأحاديث الصحيحة وصحيح السيرة أن قريشاً نسبت النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكهانة. وتلك النصوص على ضربين، الأول نصوص فيها تسمية النبي صلى الله عليه وسلم كاهناً، والثاني نصوص تنسب القرآن إلى كلام الشياطين.

فمن الأول قوله سبحانه: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة ٤٢)، قال ابن عاشور:"وكان الكهان يزعمون أن لهم شياطين تأتيهم بخبر السماء"[2]. وقال الألوسي:"والمشهور في الكهانة الاستمداد من الجن في الأخبار عن الغيب"[3].

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ (الشعراء ٢١٠-٢١٢) قال ابن عاشور:"وهذا رد على قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هو كاهن قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (الطور ٢٩)، وزعمهم أن الذي يأتيه شيطان ؛ فقد قالت العوراء بنت حرب امرأة أبي لهب لما تخلف رسول الله عن قيام الليل ليلتين لمرض : أرجو أن يكون شيطانك قد تركك[4]. ولذلك كان من جملة ما راجعهم به الوليد بن المغيرة حين شاوره

---

١. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥،ص١٩١.

٢. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج١٣،ص٢٥.

٣. الآلوسي، روح المعاني،ج٢٧ ،ص٣٥ .

٤. انظر الحديث في البخاري، الصحيح،ج٤،ص١٨٩٢.

المشركون فيما يصفون النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا نقول : كلامه كلام كاهن فقال : والله ما هو بزمزمته"[1].

هذه هي التهمة الأولى التي تربط النبي صلى الله عليه وسلم بالجن في سياق تفسير الظاهرة القرآنية التي حار في شأنها المشركون.

التهمة الثانية

الجنون

ومعنى الجنون تسلط الجن عليه بمسٍّ يفقده السيطرة على نفسه فيلقون إليه وحيهم. وإضافة إلى ما سبق بيانه في المطالب السابقة يورد الباحث الأدلة الآتية على هذا الرأي:

الدليل الأول:

حديث ابن عباس : أن ضماداً قدم مكة من أزد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمدا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي قال: فلقيه فقال: يا محمد إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من يشاء فهل لك ؟ الحديث". وفيه "فأسلم ضماد وبايع عن قومه"[2]. قال النووي:" والمراد بالريح هنا الجنون ومس الجن. وفي غير رواية مسلم يرقى من الأرواح[3] أي الجن"[4].

فدل الحديث صراحة على أن الجنون الذي كانت تتهم قريش به النبي صلى الله عليه وسلم هو مس الجن.

١ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٩،ص٢٠٢. والحديث عند البيهقي. أحمد بن حسين البيهقي (٤٥٨هـ). شعب الإيمان. تحقيق: محمد السعيد زغلول. بيروت. دار الكتب العلمية،ط١، ١٤١٠هـ. ج١،ص١٥٦.

٢ مسلم. الصحيح. ج٢. ص٥٩٣.

٣ الطبراني. المعجم الكبير. ج٨. ص٣٠٤.

٤ النووي . شرح النووي لمسلم. ج٦.ص١٥٦. وانظر الرواية في ترجمة ضماد الأزدي ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق :علي محمد البجاوي. بيروت. دار الجيل،(ط١). ١٤١٢هـ. ج٣.ص٤٨٦.

الدليل الثاني:

إن تفسير قريش لمعنى المجنون دل على قصدهم تسلط الجن، ففي الحديث"قالوا: فنقول مجنون ؟ قال:ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته"[1]. فبين قائلهم أن الجنون هو الخنق والتخالج، وهو التردد والرجفة، وهي علامات الممسوس بالجن على ما بينا سابقاً— وهو ما يؤكد أن قريشاً تتحدث عن مس الجن، لا عن المرض العقلي.

الدليل الثالث:

في حديث عتبة السالف أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عما يأتيه، ثم قال:"وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا في أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه"[2]. والرئي هو التابع من الجن يكون في الأصل خادماً للساحر، أو للكاهن ويسمى كاهناً مخدوماً[3]، وقد يغلبه فيتسلط على عقله. وهو ما يؤكده الدليل التالي.

الدليل الرابع :

إن قريشاً حين أرادت تفسير ظاهرة الوحي قالوا:" قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والشعر والسحر"[4]، فلم يلتمسوا من يعرف الجنون مع أنهم ذكروا الجنون في ضمن التهم التي ذكروها. لأنهم شرطوا العالم بالكهانة، وهو من يستطيع تفسير الجنون بغلبة التابع من الجن على صاحبه، وهو ما حدث في حالة عتبة بن ربيعة، فلم يذكروا الجنون لأنه متضمن في الكهانة إذا انقلب فيها التابع على متبوعه، فهو كاهن ما دام مسيطرا على تابعه ، فإن غلبه صار مجنوناً.

ويؤيد ذلك أن تهمة الجنون في الأحاديث التي تروي قصة التآمر تأتي بعد الكهانة، مما يؤكد أنها فرع عنها.

---

١. أحمد بن حسين البيهقي (٤٥٨هـ)، ، السنن، ج١،ص١٥٦،وابن اسحق، السيرة النبوية، ج١،ص١٢٨.

٢. ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١،ص١٨٧. وحسنه الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي، محمد الغزالي، فقه السيرة، ص١٠٦.

٣. انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، النبوات، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٦هـ ج١، ص٢٨٢– ٢٨٧.

٤. البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٦٦.

ولا يسلم للآلوسي ما ذهب إليه من أن الكهانة والجنون متناقضان: "لأن الكهان كانوا عندهم من كامليهم وكان قولهم إماما متبعا عندهم، فأين الكهانة من الجنون"[1] فإنه بناء على ما تقدم فقد تكون الكهانة مقدمة لتسلط الجن على الكاهن.

ومن العلماء من جعلهما تهمة واحدة من غير التفات إلى التفريق بين حالة الاختيار في الكهانة، وحالة المغلوبية في الجنون، قال الجرجاني: "أطلق قريش اسم الجنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعنيين، أحدهما: أنهم استبعدوا سيرته من قضية عقولهم الفاسدة، والثاني: أنهم رأوه كاهناً تأتيه الجن بالأسجاع العجيبة"[2].

الدليل الخامس:

ليس في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ما يمكن بناء هذه التهمة عليه، فأما عن سبب نسبتهم إياه إلى غلبة الجن عليه فقد رأى بعض المفسرين أن ذلك لما كان يعتري النبي صلى الله عليه وسلم من برحاء الوحي. وهو يؤيد أنهم يقصدون الصرع، لا الجنون العقلي كما مر في مبحث معنى الجنون. قال الآلوسي: "وذكر بعضهم في سبب النزول[3] أنهم كانوا إذا رأوا ما يعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم من برحاء الوحي قالوا: جن فنزلت ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾"[4].(الأعراف ١٨٤). وهو – إن صح[5] – يؤيد أن الرابط الوحيد بين الحالتين هو الغشية التي كانت تأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حين الوحي، والتي هي عند العرب بسبب تسلط الجن. قال الخطيب الشربيني: " كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي، فظنوا أنها جنون"[6].

وقد فسر بعض العلماء تهمة الجنون بما ذهب إليه الباحث من تسلط الجان بما يأتي تفصيله في المبحث الثالث من الدراسة. ولكن يجدر التنويه إلى أن هؤلاء العلماء لم يلتزموا تفسير الجنون بذلك حيثما ورد في القرآن مع إمكان ذلك كما سيظهر في المبحث التالي، ولم يذكر أحدهم سر الاختلاف في تفسير اللفظة من آية إلى أخرى.

---

١. الآلوسي، روح المعاني، ج٢٧،ص٤١.
٢. عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، درج الدرر، تفسير منسوب إلى الجرجاني، تحقيق: د طلعت الفرحان،محمد أديب شكور، الأردن،دار الفكر، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩)، ج٢، ص٦٥٧.
٣. الحديث عن قوله تعالى: ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾ (الأعراف ١٨٤)
٤. الآلوسي،روح المعاني، ج٩،ص١٢٨.
٥. لم يجده الباحث في دواوين السنة ولم يذكره أحد – عدا الآلوسي – في كتب التفسير سببَ نزولٍ للآية.
٦. الخطيب الشربيني (ت٩٧٧)، السراج المنير،ج٣،ص٢٨٣.وانظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب،ج١٥، ص٦٢.

المبحث الثالث:

معنى الجنون في آيات القرآن

يهدف هذا المبحث إلى تفسير الآيات التي احتوت تهمة الجنون، وما يتعلق بها تفسيراً موضوعياً، مستنداً إلى ما رجحه الباحث من معنى الجنون.

ويرى الباحث أن تفسير الجنون بالمعنى الذي شاع (المرض العقلي) قد أثر في تفسير الآيات، وحدث من جرائه فصل لبعض الآيات عن سياقاتها، بل إن بعض التراكيب تصبح مخالفة للغة، ويرى الباحث أن التفسير المرتضى في البحث يجعل الآيات متسقة مع سياقاتها، ويحل إشكالات تفسيرية ولغوية أدى إليها التفسير الشائع.

ويتبع الباحث في تفسيرها منهج التفسير الموضوعي، والذي يؤدي استعماله إلى إدخال ثلاثة أنواع من الآيات ضمن آيات الموضوع وهي ، الأول ما ذكرت فيه لفظة (مجنون). والثاني ما ذكر فيه تركيب "به جِنّة". والثالث ما نسب فيه القرآن إلى كلام الجن والشياطين.

ويقدم الباحث بمطلب حول سياق الآيات المذكورة، ويتبعه بتقسيم للآيات باعتبار من وجهت إليه الآية، والمقصود بها. وباستقراء الآيات يرى الباحث أنه يمكن قسمتها أربعة أقسام باعتبار من توجهت إليه الآيات.

المطلب الأول سياق التهمة

تأتي خصوصية تهمة الجنون من أن التهم المختلفة من شعر وسحر وكهانة كانت تصطدم بحقيقة ثابتة عند خصوم النبي صلى الله عليه وسلم وهي صدقه عليه السلام الذي لا جدال فيه، فصارت تهمة الجنون مخرجاً لهم لنفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دون تكذيبه، فقولهم: مجنون قد غلب عليه الجن، فهو ينطق على لسانه بهذا الكلام العالي- يعني أن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يدرك ما يجري معه. وهو مقتضى قول عتبة:"وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا في أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه"[1].

---

١. ابن اسحق. السيرة النبوية،ج١،ص١٨٧. وحسنه الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي، محمد الغزالي، فقه السيرة. ص١٠٦.

كما تشير التهمة كذلك إلى إن الصف القرشي لم يكن كله يريد بالتهم تنفير الناس من النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كان بعضهم يريد- بصدق - تفسير ظاهرة الوحي التي حارت قريش فيها، وفي الكلام المعجز الناتج عنها. قال البقاعي في تفسير هذه التهمة: إنهم قالوا ذلك:"حيرة في أمره، وتنفيراً عنه"[1]. وهو يقتضي وجود دافعين لذلك القول. وكذا قال البيضاوي، وعلق القونوي على كلامه بقوله:"أشار إلى أنهم يعقلون ويعلمون أنه عليه السلام أعقل الناس، فقولهم ذلك، لا لجهلهم بل لكمال حيرتهم، وفرط دهشتهم"[2]. وما هذه الحيرة والدهشة إلا من عظمة القرآن الذي سمعوه. قال الشهاب الخفاجي:"نسبوه إلى الجنون بواسطة تسليط الجن عليه - بزعمهم -لأجل نزول القرآن المعجز عليه، لقولهم: كهانة، وإلقاء عليه من الجن"[3].وإلى هذا يشير قول من قال منهم:"قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر"[4]. وهو يدل على إرادة بعضهم تفسير ما يجري مع النبي صلى الله عليه وسلم لكونه ملتبساً عليهم.

ويؤكد هذا أمران، الأول أحاديث السيرة، والثاني سياق الآيات، فإن تهمة الجنون في أحاديث السيرة، وآيات القرآن تأتي معظمها- إن لم تكن كلها - في سياق الحديث عن مصدر القرآن وتفسير ظاهرته المتفوقة، لا في سياق اتهام النبي صلى الله عليه وسلم في شخصه الشريف.

وموطن الدليل أن الجنون في السياق الأول يتجه إلى نسبة القرآن إلى الجن لئلا ينسب إلى الله تعالى فيضطرون إلى التصديق بالنبوة، في حين أن الجنون في السياق الثاني-لو ثبت- يدل على إرادتهم تشويه شخص النبي صلى الله عليه وسلم للتنفير منه.

يؤخذ هذا من السيرة، ويؤخذ أيضاً من رد القرآن على هذه التهمة؛ إذ كانت سياقات الرد تتجه إلى توكيد مصدره، لا إلى تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم وبيان كمال عقله، ولو

---

١. ابراهيم بن عمر البقاعي،نظم الدرر، ج٤،ص١١٨. بتصرف.
٢. القونوي، حاشية القونوي، ج١٩،ص٢٥٣.
٣. الشهاب الخفاجي،حاشية الشهاب، ج٩،ص٢٤٨. بتصرف.
٤. رواه البغوي في التفسير، معالم التنزيل، ج١،ص١٦٦.

كانت التهمة هي المرض العقلي لعني القرآن ببيان كمال عقل النبي صلى الله عليه وسلم، فأما في السيرة فأن الموضوع الذي كانت تجادل فيه قريش وتسأل عنه الخبراء هو القول الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم، وليس شخصه الكريم، ومنه قول عتبة بن ربيعة حين سألته قريش "قالوا:ما وراءك يا أبا الوليد قال: ورائي أني والله سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ"[1]. فكان كلام عتبة عما سمع من القرآن، وكان نفي الشعر والسحر والكهانة متجهاً إلى القرآن المعجز الذي سمعه.

وفي قصة الوليد بن المغيرة رجع الوليد إلى قريش يقول:"والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا[2] والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى"[3]. ومنه يتضح أن التهم التي تداولتها قريش كانت لتفسير الظاهرة القرآنية، ولم تكن تتجه نحو شخص النبي صلى الله عليه وسلم.

ثمرة التفريق:

ثمرة التفريق السابق أن من فسر الجنون بالخلل العقلي يرى بأن قريشاً تتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مختل العقل ومن ثم فمصدر القرآن هو محمد صلى الله عليه وسلم. قال البغوي:" قالوا:إنه مجنون، وما يقول يقوله من عند نفسه"[4]. أما من رأى أنهم يتهمونه بالجنون بمعنى تسلط الجن فيرى أن سر التهمة عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، وفرارهم إلى القول بالمصدر الخارجي (الجن) للقرآن. قال الرازي:"وذلك أن النبي

---

١. البغوي، معالم التنزيل، ج١،ص١٦٦.وأحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق : أحمد عصام الكاتب، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (ط١)،١٤٠١م، ج١،ص٢٦٧.

٢. اسم الإشارة يعود إلى التهم التي سبق ذكرها في الحديث وهي الكهانة والشعر والسحر.

٣. عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن، تحقيق : د. مصطفى مسلم، الرياض، مكتبة الرشد،(ط١)، ١٤١٠هـ ج٣،ص٣٨٢. البيهقي شعب الإيمان، ج١،ص١٥٦. الألباني،صحيح السيرة، ج١،ص٥٨.

٤. البغوي، معالم التنزيل،ج١،ص٣٥٠.

عليه السلام كان يظهر منه أشياء لا تكون مقدورة للبشر، وغير البشر ممن تظهر منه العجائب إما الجن أو الملَك"[1].

كما أن التصور الأول يوحي بأنه اتهام ساذج، في حين أنها تهمة مدروسة يفر منها المشركون من اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب، الشيء الذي لم يكن أحد ليصدقهم فيه إلى اتهامه بأنه لا يدرك ما يقوله بسبب تسلط الجن عليه، لذا وصفه محمد رشيد رضا بأنه:"أكبر شبهة لهم على الرسالة"[2].

فأين تصور التهمة على أنها دالة على حقد قريش، وأنهم يتهمون محمداً صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل من تصورها دالة على عجز قريش على مجاراة القرآن الكريم، وحيرتها في تعليل هذا العجز ولجوئها إلى ادعاء كون عظمة هذا الكلام ناشئة من كونه من كلام الجن. فالتصور الثاني مثبت ضمناً لإعجاز القرآن، ولعجز القوم عن مجاراته، واعترافهم بالمصدر الخارجي له ونفي كونه من عند النبي صلى الله عليه وسلم.

أما سياق الآيات فالناظر في السياق البعيد أو القريب للآيات يجد أنه يتحدث عن القرآن الكريم، ومصدره

ولدقة هذا الدليل يورد الباحث جدولاً توضيحياً للآيات مع سياقاتها، مع تعليق يسير يوضح علاقة سياق الآيات بالقرآن، وأن الرد فيها اتجه إلى بيان طبيعة القرآن.

---

١. الرازي،مفاتيح الغيب، ج٢٥،ص٢٣٢.

٢. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٩، ص٤٥٥.

السياق	الآية
إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون.ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين (التكوير ١٩-٢٣) - الحديث عن القرآن، وكونه ليس من قول شيطان، والرد ببيان كونه ذكراً من عند الله.	**وما صاحبكم بمجنون** (٢٢)
أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين.(الطور ٣٠-٣٤) - السياق في مصدر القرآن أهو قول شاعر، أم تقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تحداهم بالإتيان بمثله إن كان مصدره بشرياً.	**فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون** (٢٩)
قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون (المؤمنون ٦٦-٦٩) (يدبروا القول) أي القرآن[1]	**أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون** (٧٠)
والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد.(سبأ ٥-٧) ذكر الآيات وسعي الكافرين في الرد عليها والصد عنها، ثم ذكر الذين أنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو القرآن.	**أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد** (٨)
وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير كذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير. (سبأ ٤٣-٤٥)	**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة** (٤٦)
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) وأملي لهم إن كيدي متين (١٨٣) (الأعراف ١٨٢-١٨٣) السياق عن التكذيب بآياتنا والمقصود التكذيب بكونها آيات من عند الله	**(أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين** (١٨٤)

١. ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥،ص٤٨٤.

السياق	الآية
أي مصدرها.	
نون والقلم وما يسطرون (القلم ١-٢) "جاء في هذه السورة بالإيماء بالحرف الذي في أولها إلى تحدي المعاندين بالتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن... ويجوز أن يكون قسما بالأقلام التي يكتب بها كتاب الوحي القرآن **(وما يسطرون)** قسما بكتابتهم فيكون قسما بالقرآن"[1].	**ما أنت بنعمة ربك بمجنون**(٢)
وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين. (القلم ٥١-٥٢) الذكر القرآن	**ويقولون إنه لمجنون**(٥١)
(وقالوا معلّم مجنون) (الدخان ١٤) المعلّم من يعلمه غيره فالكلام عن مصدر القرآن.	**معلم مجنون** (١٤)
وقالوا يا أيها الذي أنزل عليه الذكر إنك لمجنون (الحجر ٦) الذكر القرآن.	**إنك لمجنون** (٦)
بل جاء بالحق وصدق المرسلين (الصافات ٣٧) الحق القرآن[2].	**ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** (٣٦)

المطلب الثاني: تفسير الآيات وفق المعنى الراجح للجنون

تنقسم الآيات الواردة في المسألة أقساماً أربعة:

القسم الأول

آيات موجهة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتثبيته.

إن مقصد تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان أنه على الحق، وأنه لا ينبغي أن يتأثر بتهم الخصوم وافتراءاتهم – مقصد مقرر في القرآن الكريم ورد في آيات كثيرة منها قوله تعالى﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾(الأنعام ٥٧). قال ابن عاشور: "ليأسوا من محاولة إرجاع الرسول عليه الصلاة والسلام عن دعوته إلى الإسلام وتشكيكه في وحيه بقولهم : ساحر مجنون شاعر أساطير الأولين"[3].

---

١. ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٩،ص٥٧.

٢ – الطبري ،جامع البيان، ج٢٣،ص٦٢.

٣ – ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٦،ص١٣٠.

ومن هذه الآيات المثبتة للنبي صلى الله عليه وسلم ما جاء لنفي أي شبهة عما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي، حيث طمع المشركون في أن يدخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الشك فيما يراه، وأنه إنما يرى جناً ظنه ملكاً، وأن هذا الجن قد ملك عليه أمره.

ومن هذه الآيات:

الآية الأولى

قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (القلم ٢)

هذه الآية من سورة القلم من أوائل ما نزل من القرآن[١] تضمنت توجيهاً إلهياً إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكون متيقناً من أنه نبي مرسل، فلا تأتيه أي ظن بشأن نبوته، ورأى دروزة أنها "نزلت لتطمين النبي عليه السلام وتثبيته، ونفي ما ظنه وخشي منه، وهو أن يكون ما رآه وسمعه حين أوحي إليه أول مرة مساً من الجن"[٢].

أما الاحتمال الآخر فهو أن يكون القول رداً على ما يشيعه المشركون من اتهامه صلى الله عليه وسلم بالجنون، وتشكيكه بطبيعة ما يأتيه من الوحي. وعلى كلا الاحتمالين يستقيم تفسير الجنون بمعنى تسلط الشيطان وإلقاء القرآن على لسان النبي صلى الله عليه وسلم. فكان المشركون يطمعون في تشكيكه، وأقرب ما يجدونه هو أن يقولوا: قد سلمنا أنك ترى شيئاً يا محمد، لكن ذلك إنما هو جن يغلبك على عقلك. فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم تثبيتاً له: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ بسبب نعمة الله : لا تكون معرضا لتخبط الجن بك. ثم قال: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾(القلم ٦). قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم: "المفتون المجنون"[٣]. قال ابن عاشور: "المفتون : اسم مفعول وهو الذي أصابته فتنة فيجوز أن يراد بها الجنون فإن الجنون يعد في كلام العرب من قبيل الفتنة، يقولون للمجنون فتنته الجن"[٤].

---

١. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩،ص٤د.

٢. محمد عزة دروزة ، التفسير الحديث،دار إحياء الكتب العربية.(ط١)، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ج١،ص٤٣.

٣.انظر البغوي)، معالم التنزيل، ج٤،ص٧٧.

٤.ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩،ص٦٢.

وقد رجح القرطبي معنى تسلط الجن فقال:"وكانوا يقولون : إن به شيطاناً وعنوا بالمجنون هذا، فقال الله تعالى : فسيعلمون غدا بأيهم المجنون أي الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل"[1]. وكذا الرازي قال:" لما قالوا :إنه مجنون فقد قالوا: إن به شيطاناً"[2].

وهو يتضمن أن قريشاً تقر بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي بالقرآن من عنده، لكنهم يريدون تشكيكه فيما يرى، ليقولوا: إنما هو شيطان غلب عليه.

الآية الثانية

قوله سبحانه﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾(القلم ٥١)

سياق الآية في قول المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم: إنه مجنون في وقت عين هو بعد سماعهم القرآن. قال الألوسي:" أي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك"[3]. فتعليق الكافرين إنما هو على القرآن. قال الشوكاني:"﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي وقت سماعهم للقرآن"[4]. فنظرهم وقولهم:"إنه لمجنون بسبب القرآن الذي جاء به"[5]. قال أبو السعود:"مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام"[6]. ولما كان مضمون القرآن عالياً في اللغة والمعنى- لم يكن للجنون مدخل من حيث لغتُهُ ومعناهُ، فإن الجنون العقلي إنما يتجه لمن يتكلم بما تستهجنه العقول السليمة، وهذا غير متحقق في الكلام الإلهي العالي- فبقي أن قولهم إنه لمجنون منصب على تفسير مصدر هذا الكلام العالي المعجز بأنه يلقيه جن قد غلب على محمد عليه السلام، فهو فرار من الإقرار بالنبوة إلى نسبة هذا الكلام المتفوق إلى الجن. وعدم التنبه إلى أن كلامهم تعليق على ما سمعوه من القرآن - جعل بعض المفسرين يرى أن الجملة تتحدث عن النبي

---

١. القرطبي، الجامع، ج ١٨،ص ١٥٠. وانظر النيسابوري،غرائب القرآن ، ج٦،ص٣٣٥.

٢. الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠،ص٧٣.

٣. الآلوسي، روح المعاني، ج٢٩،ص٣٩.

٤. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير ،ج٥،ص٣٨٧.

٥. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تفسير القرآن الشهير بالجلالين، القاهرة، دار الحديث،(ط١)،ص٧٦١.

٦. محمد بن محمد أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم ،ج٩، ص٢٠.

صلى الله عليه وسلم. وأنه عليه السلام ذكر للعالمين[1]. وإلى ما ذهب الباحث ذهب بعض المفسرين قال ابن التمجيد: "معنى تجنينهم إياه عليه السلام لأجل القرآن أنهم قالوا: إن هذا القرآن ليس بذكر من رب العالمين، بل هو من قبل الجن والكهانة"[2]. وقال: "فقولهم ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم ٥١) مرادهم به أن القرآن الذي أتى به رسول الله قول الجن، ومن قبيل الكهانة، لا أنه عليه الصلاة والسلام مسلوب العقل، لأنه عندهم أعقل الناس، وكمال عقله مسلَّم فيما بينهم. فكيف يريدون بقولهم: إنه لمجنون أنه عليه الصلاة والسلام فاقد العقل!؟"[3]. وقال دروزة في تفسير الآية: "إن الكفار لم يعنوا بنعت النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون أنه مختل العقل، فقد كانوا من النباهة في درجة لا يعقل معها ذلك. وهم يسمعون ما يتلوه عليهم من الفصول القرآنية الرائعة في بلاغتها وقوتها وحِكَمها وأمثالها وانسجامها، فالذي يتسق مع هذا أن نعتهم كان على سبيل الاستنكار لكل جيد مثير في العقائد والآراء. ومن الممكن أن يكونوا قد أرادوا بذلك نسبة اتصال الجن بالنبي عليه السلام، وتلقيه عنهم"[4].

وفي الآية السابقة نهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن أن يكون مثل يونس عليه السلام في السماع لقومه والتبرم بإعراضهم وأن يؤثر ذلك فيه قال الزمخشري: "المعنى: لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة"[5]. فطلب الله إليه أن لا يتأثر بنظراتهم وأقوالهم. فذكر القرآن أنهم سوف ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم نظرة يزلقونه بها، ولا يشترط أن يكون الإزلاق بالسقوط الجسدي كما ذهب المفسرون[6]. بل يكون كالإدحاض يستعمل في المعنويات، قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ (الكهف ٥٦): "كانوا يجادلون في الرسول صلى الله عليه وسلم فيقولون: ساحر ومجنون وشاعر وكاهن... ومعنى

---

١. عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل، ج٤، ص٢٧٣.

٢. ابن التمجيد الرومي، حاشية ابن التمجيد، ج١٩، ص٢٥٣.

٣. المرجع السابق.

٤. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ج٨، ص٦٩. بتصرف.

٥. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص١٤٨.

٦. لم يجد الباحث من ذهب إلى الإزلاق المعنوي. وأما المادي فلم يعدد مصادرها من التفسير لكثرتها.

﴿يدحضوا﴾ يزيلوا ويبطلوا"[1]، وقال ابن عاشور:"جعل الإزلاق بأبصارهم على وجه الاستعارة المكنية شبهت الأبصار بالسهام ورمز إلى المشبه به بما هو من روادفه وهو فعل (يزلقونك) . وهذا مثل قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾"[2](آل عمران ١٥٥). فمعنى استزلهم مجازي على سبيل الاستعارة، فلا يبعد في ضمن السياق أن يكون الإزلاق مجازياً. فيكون معنى يزلقونك: يميلونك عن موقفك الثابت بنظرهم مع القول بأنك مجنونٌ به مس . فيكون فعل الكافرين مكوناً من نظر العيون بطريقة معينة، ثم النطق باتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالمس أملاً في أن يؤثر ذلك في نفسه عليه السلام، فيضعف، فنهي عن أن يتأثر بذلك، ثم أكد له أنه ليس بمجنون، وأن الكلام الذي يأتيه ذكر من الله تعالى لا مدخل للشياطين فيه كما يدعون،﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.(القلم ٥٢). قال أبو حيان في الآية:"﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (القلم ٥٢) فكيف ينسبون إلى الجن ما جاء به"[3].

وهذا التفسير يرد عجز السورة على صدرها[4]، لأن السورة بدأت بنفي الجنون وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت آخر السورة لتنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التأثر بهذه الاتهامات مذكرة بقصة صاحب الحوت الذي تأثر بإعراض خصومه على نبينا صلى الله عليه وسلم، وداعية إياه إلى اليقين بما جاءه من الوحي.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾(الطور ٢٩)

سياق الآيات في تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة تهم قريش له بأنه يأتي بالقرآن بطريق الكهانة، أو بطريق تخبط الجن، أو أن القرآن قول شاعر﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ (الطور ٣٠)، أو أنه اختلقه من عنده،﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم

---

١. القرطبي، الجامع، ج١١، ص٦.

٢. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص١٠٠.

٣. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٨، ص٣١٢.

٤. انظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص٨٩. وأحمد نوفل، التفسير المنهجي، ١٠ج، ص١٣٣.

مِنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ (الطور٣١). فالسياق كله في البحث في مصدر القرآن[1]. وأما مجيء الآيات بصيغة الخطاب مع أن المقصود إبطال تهم المشركين فيما يتعلق بمصدر القرآن- فذلك لغرض التثبيت.

وتأتي تهمة الكهانة والجنون المتعلقة بكون مصدر القرآن هو الجن، مع الفرق الذي ذكر سابقاً من كون الجنون تظهر فيه حالة المغلوبية، وفقدان الاختيار، ورجح الطبري هذا المعنى فقال في الآية: "يقول: فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن، ولا مجنون له رئي يخبر عنه قومه ما أخبره، ولكنك رسول الله"[2]. وقال ابن كثير: "أي لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش، والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ﴿ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس"[3]. وقال أبو حيان: "نفى عنه ما كان الكفار ينسبونه إليه من الكهانة والجنون إذ كانا طريقين إلى الإخبار بالمغيبات، وكان للجن بهما ملابسة للإنس"[4]. قال البقاعي في الآية: "ولما كان للكاهن والمجنون اتصال بالجن أتبع ذلك قوله: ﴿ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾"[5].

القسم الثاني

آيات موجهة إلى المشركين رداً عليهم في دعواهم بالجنون.

الآية الأولى

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ (أعراف ١٨٤)

في هذه الآية يحيل الله المشركين إلى عقولهم للتفكر في حال النبي صلى الله عليه وسلم وأنه صاحبهم، ولم يعهدوا عليه اتصالاً بالجن في صورة كهانة أو مس. قال السمين الحلبي في الآية: "الجنة: مصدر يراد به الهيئة، وقيل: المراد الجنُّ كقوله: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ ولا بد حينئذٍ من حذف مضاف، أي تخبط جنة، والمعنى ليس

---

١. راجع الجدول في المبحث السابق.

٢. الطبري، جامع البيان، ج٢٧، ص٣١. وانظر القاسمي، محاسن التأويل، ج٦، ص٣٥٤.

٣. إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الخير، ٤١٠هـ/١٩٩٠م). (ط١). ج٤، ص٢٤.

٤. أبو حيان البحر المحيط، ج٨، ص١٤٨.

٥. البقاعي، نظم الدرر، ج٧، ص٣٠٢.

بصاحبهم جنون أو مس جن"[1]. وقال الآلوسي في معنى جنة: "والتعرض لنفي الجنون عنه عليه الصلاة والسلام مع وضوح استحالة ثبوته له لما أن المتكلم بما هو خارق لا يصدر إلا عمن به مس من الجنة كيفما اتفق من غير أن يكون له أصل، أو عمن له تأييد إلهي يخبر به عن الغيوب، وإذ ليس به عليه الصلاة والسلام شيء من الأول تعين الثاني"[2]. ففسر الآلوسي تهمة الجنون بربطها بالكلام المعجز الخارق، وبأنهم يرون أنه لا يصدر إلا عمن تسلطت عليه الجن. وقال ابن عاشور في الآية:"والجنة بكسر الجيم اسم للجنون وهو الخبال الذي يعتري الإنسان من اثر مس الجن إياه في عرف الناس، ولذلك علقت الجنة بفعل الكون المقدر بحرف الباء الدال على الملابسة"[3]. وعاد الطباطبائي إلى احتمال هذا المعنى في تفسير هذه الآية قال:"من الجائز أن يكون المراد به الفرد من الجن بناء على ما يزعمونه أن المجنون يحلُّ فيه بعض الجنة، فيتكلم من فيه وبلسانه"[4].

فاستدل ابن عاشور بالباء المفيدة للملابسة لتدل على قصدهم معنى تسلط الجن على النبي صلى الله عليه وسلم[5].

الآية الثانية

قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ (المؤمنون ٧٠)

الكلام في السياق عن القرآن ومصدره، وقول الكافرين إنه من الجن. بدليل الإضراب في الآية، حيث أضرب عن قولهم: ﴿بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ إلى قوله﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ ، و"الحق" هنا هو القرآن على قول بعض المفسرين[6]. فصار المعنى ليس القرآن بكلام جن بل هو الحق

---

١. شهاب الدين بن يوسف السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق:علي معوض وزملائه، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٣،ص٣٧٧. بتصرف يسير.

٢. الآلوسي، روح المعاني، ج٩،ص١٢٨.

٣. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨،ص٣٦٩.

٤. الطباطبائي،الميزان ، ج٩، ص٣٤٨. وكان قد نفى هذا الاحتمال كلياً في تفسيره لسورة القلم آية ٥٢. انظر المبحث الأول.

٥. لم يطرد ابن عاشور هذه القاعدة في كل الآيات المتضمنة لباء الملابسة.

٦. القرطبي، الجامع، ج١٢،ص٩٣. وعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ (ط٣)، ج٥،ص٤٨٤. الآلوسي، روح المعاني، ج١٨،ص٥١.

من الله تعالى. قال دروزة: " يتهمونه بالجنون أو بالاتصال بالجن"[1]. وقال: "فليس النبي مجنوناً ولا متصلاً بالجن، وإنما جاءهم بالحق من الله"[2]. وقال ابن عاشور في تفسيرها: "الجنة يطلق على الجن وهو المخلوقات المستترة عن أبصارنا كما في قوله: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ (الناس ٦). ويطلق الجنة على الداء اللاحق من إصابة الجن، وصاحبه مجنون، وهو المراد هنا بدليل باء الملابسة"[3].

الآية الثالثة

قوله تعالى: ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾(سبأ ٨)

السياق البعيد للآية يتحدث عن تكذيب المشركين بمصدر القرآن وأن المؤمنين يصدقون بمصدره ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(سبأ ٦).

وفي هذه الآية يستدل المشركون بإخبار القرآن بالبعث على أن النبي صلى الله عليه وسلم يتعمد الكذب، ولما لم يعهد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم صار القوم في حيرة، فوضعوا الاحتمال الآخر وهو تسلط الجن عليه، ونطقهم على لسانه بهذه الآيات المتضمنة لما استنكروه من البعث والنشور. فالأمر دار عندهم بين أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يكذب عن عمد، أو عن غير عمد، وغير العمد إنما هو بسبب تسلط الجن عليه "فالمعنى: أقصد الافتراء أي الكذب أم لم يقصد، بل كذب بلا قصد لما به من الجنة"[4]. وباء الملابسة كما قال ابن عاشور دليل على أن المراد بالجنة المس كما في الآيتين السالفتين.

---

١. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ج٦،ص٢٠٦.

٢. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ج٦،ص ٢٠٦.

٣. ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج١٨،ص٧٣.

١. الآلوسي، روح المعاني ،ج٢٢،ص١١٠-١١١.

الآية الرابعة

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ (سبأ٤٦)

سياق الآية في القرآن وحيرة المشركين في تفسير عظمته، فمرة يقولون: إفك مفترى، وأخرى يقولون: سحر مبين. فرد الله عليهم بأن وعظهم بأن يتفكروا في أمر القرآن ومصدره، وهل يجوز في العقل والفكر أن ينسب إلى الجن فيكون قد ألقي على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، والباء للملابسة دالة على إرادة الجن كما قال ابن عاشور في نظائر هذا التركيب من الآيات السالفة.

الآية الخامسة

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصافات ٣٦)

من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتهم بكونه شاعرا، وبكون القرآن قول شاعر، وقد نفى الله تعالى عنه هذه التهمة بقوله:"﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (يس ٦٩) وقوله جل وعلا:﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾(الحاقة ٤١)، فلم اقترنت تهمة الشعر هنا بالجنون ؟

الملحوظ هنا أن المشركين قد وصفوه بأنه شاعر مجنون، أي هو شاعر وفي الوقت نفسه مجنون، وهذا ما يفيده ترك العطف بين الصفتين.

وقد حل بعض العلماء هذا الإشكال بأن سبب ذلك هو تناقض المشركين[1]، قال البيضاوي:"والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل، ولا يتأتى ذلك من المجنون"[2]. أما ابن عاشور فقد حل الإشكال بأنهما تهمتان منفصلتان، قال: "قولهم:{شاعر مجنون} قول موزع، أي يقول بعضهم : هو شاعر وبعضهم : هو مجنون أو يقولون مرة : شاعر ومرة : مجنون كما في الآية الأخرى ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾"[3] (الذاريات ٥٢)، والأصل أن ترك الفصل بين الكلمتين يدل على أن الشاعر هو

---

١. البقاعي، نظم الدرر، ج٦،ص٣٠٨.

٢. البيضاوي، أنوار التنزيل،ج٢،ص٤٣٦.

٣.ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٨،ص٣٦٩.

نفسه المجنون كما تفيد بذلك اللغة. وآية الذاريات التي جاء بها ابن عاشور لقياس الآية فُصِلَ بين الساحر والمجنون ب"أو" المفيدة للتوزيع، فلا تصلح للقياس عليها.

وبتفسير مجنون بأنه الذي يأتيه الرئي من الجن فيغلبه على عقله يزول الإشكال حيث كان العرب يعتقدون، أن من الشعراء من يأتيه بالشعر شيطانه.

ومنه قول الشاعر: " ولقد نطقت قوافيا إنسية ولقد نطقت قوافي التجنين

أراد بالإنْسِيَّة التي تقولها الإنْسُ وأراد بالتَّجْنِينِ ما تقولُه الجِنُّ"[1].

فكانت قريش ترى أن مصدر هذا الكلام العالي الذي لا يستطيعون معارضته هو شعر الجن، لذا قال الوليد بن المغيرة لقريش حين طلبت منه أن يقول في القرآن قولا يصد الناس عنه:"فماذا أقول فيه فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده . ولا بأشعار الجن "٢، فبين أنه عرض القرآن على شعر الإنس والجن فلم يلتئم عليه.

وهكذا اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر له رئي من الجن يعلمه هذا الكلام العالي الذي يعجزون عن الإتيان بمثله هم الجن، وأنه من أشعار الجن لذا قالوا شاعر مجنون، أي مصدر شعره الجن الذي يأتيه فيتكلم على لسانه. قال ابن عاشور:"كانوا يزعمون أن للشاعر شيطاناً يملي عليه الشعر، وربما سموه الرئي"[3]. وقال دروزة :"لأن العرب كانوا يعتقدون أن شياطين الجن يوحون إلى الشعراء والكهان والسحرة ... والراجح أنهم نعتوه بالشاعر والكاهن والساحر بناء على هذا الاعتقاد"[4]. وقال

---

١. ابن منظور، لسان العرب، مادة جنن، والزبيدي، تاج العروس،مادة جنن، والبيت لبدر بن عامر وهو شاعر إسلامي عاش في زمن عمر بن الخطاب ، ومطلعها بخلت فطيمة بالذي تولين إلا الكلام وقل ما يجديني

وانظر في شعر الجن أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف ، ص٣٩-٤٠ وص ٢٦٩.

٢. الطبري، جامع البيان، ج١٢،ص٣٠٨.قوله: ثم عبس وبسر وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تفسير القرآن، ج٣،ص٣٨٢ .والحاكم، المستدرك ،ج٢،ص٥٥٠ وصححه. والبيهقي شعب الإيمان، ج١،ص١٥٦، وصححه الألباني،صحيح السيرة، ج١،ص١٥٨.

٣. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩،ص٢١٠.

٤. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ج١،ص١٣٠.

مغنية:"كانوا يزعمون بأن لكل شاعر جنياً يعلمه الشعر، ويومئ إلى هذا قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾"[1](الصافات ٣٦)

وبهذا يُحَلّ إشكال ترك العطف في الآية السالفة.

الآية السادسة

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾(الدخان ١٤)

في هذه الآية يتهم المشركون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يعلمه غيره، وأنه مجنون، وهي كالآية السابقة لم يفصل بين التهمتين بحرف العطف الدال على التوزيع. فيكون المعنى إن محمداً صلى الله عليه وسلم مجنون وهو يتعلم من غيره. وهو إشكال إذ إن معنى الجنون يتناقض مع التعليم. وقد سجل العلماء هذا الإشكال قال ابن عاشور:" "والمعلم الذي يعلمه غيره، ولا يصح أن يكون قولاً واحداً في وقت واحد لأن المجنون لا يكون معلّماً، ولا يتأثر بالتعليم"[2].

وقد لجأ العلماء لحل الإشكال الناشئ من تفسير الجنون بأنه ذهاب العقل، والذي لا يجتمع مع التعليم. فذهب بعضهم إلى أن المعنى:"يعلمه القرآن بشر، وقالوا: إنه مجنون"[3]، وحلها البيضاوي بتوزيع القائلين، قال:"أي قال بعضهم: يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون: إنه مجنون"[4].

أما أبو السعود فرأى توزيع القائلين أو التوزيع الزماني ولم يرجح بينها، قال:" أي قالوا تارة: يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وأخرى مجنون. أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا"[5].

ويلحظ على هؤلاء المفسرين أنهم استدعوا الآية التي تتضمن تهمة ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ ﴾ (النحل ١٠٣)، مع أنه ليس هناك ما يقتضي أن يكون المعلم بشراً دائماً، بل

---

١. محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨١، ج٣، ص٣٨٧.

٢. ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج٢٥، ص٣١٩-٣٢٠. بتصرف. وانظر البقاعي. نظم الدرر، ج٧، ص٦٨.

٣. الشوكاني. فتح القدير، ج٤، ص٨١٢.

٤. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج٢، ص٣٨١.

٥. الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٥٠٢. وانظر النسفي. مدارك التنزيل، ج٤، ص١٢٤، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم، ج٨، ص٦١.

يمكن أن يكون شيطاناً كما رأى هذا الاحتمال القرطبي حيث قال: "﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أي علمه بشر، أو علمه الكهنة والشياطين"[1]. وإدراكاً من الآلوسي لبقاء الإشكال لم ير التوزيع لعدم العاطف فذهب إلى أنه: "لم يقل (ومجنون) بالعطف لأن المقصود تعديد قبائحهم"[2]. وهذا لا يحل الإشكال فإن العرب تعدد وتعطف، وليس من عادتها إذا عددت أن تترك العطف، والآيات العديدة في القرآن التي تعدد قبائح الكافرين تورد العطف.

وكل من فسر الآية بالجنون العقلي استبعد التعليم من قبل الجن، مع أن المشركين سجلوا هذه التهمة، حين اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالكهانة كم مر سابقاً في البحث، ورد عليهم القرآن بقوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ (النجم ٥-٦)، فبين أن التعليم حاصل لكن ليس من قبل شيطان، بل من قبل ملك. وقد عبر الله تعالى بصيغة التعليم حين نفى تهمة الشعر عن نبيه عليه السلام، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (يس ٦٩)، فيكون القرآن الكريم قد رد على تهمة التعليم من جانبيها، الأول: مصدر التعليم للنبي صلى الله عليه وسلم، وبين أنه جبريل عليه السلام، وليس شيطاناً، والثاني: مضمون التعليم، وأنه ليس شعراً بل وحي يوحى.

وعلى كلٍ فإن تأويل العلماء السالف يبقى عليه الاعتراض الذي سجله ابن عاشور. لكن على التفسير الذي ارتضاه الباحث فإن التعليم المقصود هو تعليم الجن، والعرب تعبر بالتعليم عن اتصال الجن بالإنس قال الشاعر يصف امرأة:

جنّيةٌ أو لها جِنٌّ يُعَلّمُها ... رميَ القلُوبِ بقَوسٍ[3] ما لها وترُ[4]

---

١. القرطبي، الجامع، ج١٦، ص٨٩.

٢. الآلوسي، روح المعاني، ج٢٥، ص١١٩.

٣. في بعض الروايات بسهم، وهو في الرواية أجود كما قال المحقق، واستحسن الباحث رواية القوس لمعنيين الأول معنى بلاغي: لأنها أنسب بالتشبيه فالقوس هو الذي تشبه به العين لا السهم. والثاني معنوي: لأن السهم ليس له وتر بل الوتر للقوس.

٤. البيت لأبي دهبل الجمحي وهو شاعر إسلامي عاش في خلافة علي بن أبي طالب. يقول: فهل هي جنية أو أحد من الجن يعلمها كيف يكون رمي القلوب بالقوس الذي لا وتر له وعنى بالقوس العين. انظر

فيكون معنى {معلم مجنون} أي يعلمه جنيّ قد غلبه على عقله. وقد رجح هذا المعنى الراغب الأصفهاني فقال في الآية:"وقوله تعالى :{معلـم مجنـون} أي : ضامّه من يعلمه من الجن، وكذلك قوله تعالى:{أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون}[1]. وضامّه أي انضم إليه الجني الذي يعلمه[2]. وقال الخطيب الشربيني في الآية :"{مجنون} أي يلقي إليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض عليه من الغشي"[3]. وكذلك البروسوي حيث قال:"{معلم مجنون} يعني يأتيه رئي من الجن فيعلمه"[4]. ولا مدخل للمرض العقلي في كل ما تقدم من الكلام.

القسم الثالث

آيات تشكك في أن الناقل للآيات ملك وتنسبها إلى الشيطان

تبين مما سبق أن قريشاً كانت تتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يأتيه شيطان بالقرآن في صورتين: الكهانة وفيها يستدعي الجن باختياره، أو أن الرئي من الجن قد غلب عليه، فهو يتكلم على لسانه بالقرآن.

جاءت الآيات التي تسجل اتهامهم النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالجنون مبينةً أنْ ليس للشياطين تعلّق بهذا القرآن من قريب ولا من بعيد، وهو يؤكد أن تهمة الجنون تتعلق بغلبة الجن على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المراد، وهما آيتان.

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (التكوير ٢٢)

بالنظر إلى سياق الآيات نجد البيانَ القرآنيّ فيها يبدأ من تقرير أن القرآن إنما هو ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (التكوير ١٩)، وتصف هذا الرسول بصفات: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾

أحمد بن محمد المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، شرح الاختيار المنسوب لأبي تمام المعروف بكتاب الحماسة. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة. (ط١). ج٣، ص١٣٥١.

١. الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة جنن.

٢. في لسان العرب "ضامّ الشيءُ الشيءَ انضم معه، وضممت الشيء إلى الشيء فانضم إليه وضامّه". ابن منظور، لسان العرب، مادة ضمم.

٣. الخطيب الشربيني، السراج المنير، ج٦، ص٤٥٦.

٤. محمد علي الصابوني، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، دمشق، دار القلم، (ط١)، ١٤٠٨/١٩٨٨م، ج٤، ص٣٨٨.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير ٢٠-٢١). والمقصود به جبريل عليه السلام، ومن المعلوم أن نظيرة هذه الآية وهي قوله تعالى في سورة الحاقة: {إنه لقول رسول كريم}(الحاقة ٤٠) فسرت بأنه محمد صلى الله عليه وسلم. وذلك بالنظر إلى أن المدّعى هناك كون النبي صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن. فقيل، ليس القرآن بقول شاعر ولا بسجع كاهن لكنه قول رسول بشري جاء به رسول ملكي من قبل مرسل هو رب العالمين، حيث كلمة رسول تدل بأصل معناها على أن الكلام المنقول ليس منه بل من مرسله. قال البقاعي: "ولو كان قول الرسول مستقلاً به لما كان لوصفه بالرسالة مدخل"[1]. فنفي كونه شعرا وكهانة يقتضي إثبات كونه من عند الله وأن حال محمد عليه السلام مع القرآن هي حال الرسول مع الرسالة ليس له منها إلا التبليغ .

وقوله تعالى في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (التكوير ١٩) جاء في مقابل قولهم: مجنون أي له شيطان غلب عليه، وأن محمدا قد تخيل خيالات فظنها ملكاً، وإنما هو شيطان، فجاءت الآيات تبين ذلك. وهو ظاهر من سياق الآيات قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (التكوير ١٩-٢٢).

ولنفي أي احتمال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى شيطاناً فظنه ملكاً بينت الآيات أن المرئي كان جبريل حقاً. قال ابن عاشور: "﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ (التكوير ٢٣) عطف على جملة ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (التكوير ٢٢) والمناسبة بين الجملتين إن المشركين كانوا إذا بلغهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر أنه نزل عليه جبريل بالوحي من وقت غار حراء فما بعده استهزؤوا وقالوا : إن ذلك الذي يتراءى له هو جنّيٌ فكذبهم الله بنفي الجنون عنه، ثم بتحقيق أنه إنما رأى جبريل القوي الأمين"[2].

---

١. البقاعي، نظم الدرر، ج٤، ص٣٤٢.

٢. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص١٣٩. وانظر الخطيب الشربيني، السراج المنير، ج٨، ص٤٨.

السياق السابق جاء فيه قول الله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (التكوير ٢٢) فارتباطه بما قبله وما بعده واضح جلي، فهو نفي تسلط الجن عليه صلى الله عليه وسلم. لذا جاء تأكيد رؤيته لجبريل عليه السلام، فليس في السياق أدنى مدخل للمرض العقلي.

ويؤيد ذلك وصف الأفق الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم به جبريل بأنه مبين لا يمكن أن تختلط على النبي صلى الله عليه وسلم فيه الصور. قال ابن عاشور: "﴿المبين﴾: وصف الأفق أي للأفق الواضح البين، والمقصود من هذا الوصف نعت الأفق الذي تراءى منه جبريل للنبي عليهما الصلاة والسلام بأنه أفق واضح بين لا تشتبه فيه المرئيات ولا يتخيل فيه الخيال وجعلت تلك الصفة علامة على ان المرئي ملك وليس بخيال ... ولهذا تكرر ذكر ظهور الملك بالأفق في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾"[1]. (النجم ٥-٧)

وذكر كونه من قول جبريل ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (التكوير ١٩) مؤكداً بالمؤكدات المختلفة من "إن" ولام التوكيد الداخلة على خبرها- جاء في مقابل قولهم إن القرآن قول شيطان رجيم، لذا عاد فنفى ذلك بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ (التكوير ٢٥). وبين هذا وذاك جاء نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أكد كونه من عند الله بقوله عز شأنه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (التكوير ٢٧). قال ابن عاشور: "وهذه الجملة تتنزل منزلة المؤكدة لجملة ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾"[2]. (التكوير ٢٥).

ونفي كونه قول شيطان يؤكد نفي الجنون أي اتصال النبي صلى الله عليه وسلم بالجن، بأن ينفي أن يكون القرآن قول شيطان ألقاه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرازي: "كان أهل مكة يقولون: إن هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله ذلك"[3]. قال أبو حيان في الآية: "أي الذي يتراءى له إنما هو ملك، لا مثل الذي يتراءى للكهان"[4].

---

١. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص١٤٠-١٤١.

٢. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص١٤٦.

٣. الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١، ص٦٨. وانظر الخطيب الشربيني. السراج المنير، ج٨، ص٢٧٤.

٤. أبو حيان، البحر المحيط، ج٨، ص٤٢٦.

وقد ربط بعض المفسرين بين نفي الجنون، ونفي كون القرآن قول شيطان. قال دروزة: "ونفيُ الجنون عن النبي عليه السلام وصلة الشيطان بما يبلغه دليل على أن المكذبين كانوا يقولون: ما يخبر به هو من تلقينات الشيطان، ويقصدون بذلك الجن"[1]. وقال الطباطبائي: "فالمعنى أن القرآن ليس بتسويل من إبليس وجنوده، ولا بإلقاء من أشرار الجن كما يلقون على المجانين"[2].

فرع:

باستحضار معنى الجنون المقتضي لكون الممسوس قد غلبه الشيطان، وصار يتكلم على لسانه – جاء هذا السياق مقابِلاً بين نزول جبريل بالقرآن وقولهم إنه قول شيطان رجيم. وهذه المقابلة تحل المشكل الذي قام من نسبة القرآن إلى كونه قول جبريل عليه السلام، وهو مشكل جاء من إهمال السياق والمقابلة المذكورة، واستدل به بعض أهل العقائد على أن ألفاظ القرآن من عند جبريل[3]، ولو استحضروا المقابلة المذكورة لنفي كون ما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم شيطاناً، ولتوكيد كون القرآن من عند الله منزلاً بواسطة جبريل– لما كان لنسبة ألفاظ القرآن إلى جبريل أي مدخل.

كما إن المقابلة المذكورة ترد على ما توهمه الزمخشري من أن في السياق مفاضلة بين جبريل عليه السلام، وبين النبي صلى الله عليه وسلم، واستدل بها على تفضيل جبريل عليه السلام، قال الزمخشري: "وناهيك بهذا دليلاً على دلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ وبين قوله ﴿صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾"[4]. وقد رد

---

١. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ج١، ص١٣٠.

٢. محمد حسين الطباطبائي، الميزان، ج٢٠، ص٢١٩.

٣. انظر في شرح هذا الرأي والرد عليه، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي، ١٣٩٨هـ، ج١٢، ص٥٠.

٤. الزمخشري الكشاف، ج٤، ص٢٢٥.

عليه بعض العلماء[1] وقسا عليه بعض آخر[2]، لكن استحضار المقابلة الماضية يرد على الزمخشري من أساس شبهته.

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر ٦)

سياق الآيات في الحديث عن موقف الكفار من القرآن، وفيه يخاطب الكافرون النبي صلى الله عليه وسلم بالآية السالفة قال النسفي: "يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء"[3]. وعلى المعنى الذي ارتضاه الباحث من معنى الجنون، يكون الكافرون قد اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأن ما يدعي أنه نزل عليه من الذكر إنما جاء به شيطان غلبه على عقله –حاشاه صلى الله عليه وسلم–. وإلى هذا مال الإمام البقاعي قال: "﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أي بسبب ادعائك أن الله أنزل عليك الذكر، والذي تراه جنيٌّ يلقي إليك تخليطاً"[4]. ثم زادوا على ذلك بتحديه أن يثبت أن ما يأتيه ملك من الملائكة، قال محمد دروزة: "في سورة الحجر آيات تحكي قولهم إنه مجنون، وتتحداه أن يأتي بالملائكة إن كان من الصادقين، وهي ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (الحجر ٦–٧) كأنما تقول: إن اتصالك إنما هو بالجن، وإلا فائتنا بالملائكة إن كنت صادقاً في اتصالك بالله"[5].

وممن رجح هذا المعنى كذلك الإمام القرطبي قال: "وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم إنه مجنون به شيطان، وهو قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦)"[6].

---

١. البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٢، ص٥٧٣. وانظر الخطيب الشربيني، السراج المنير، ٨، ص٢٧٢. والآلوسي، روح المعاني، ج٣٠، ص٦٠. والصابوني، تنوير الأذهان، ج٤، ص٥٠٣.

٢. القمي النيسابوري، غرائب القرآن، ج٦، ص٤٥٥. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص١٤٠.

٣. النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص٢٣٧.

٤. البقاعي، نظم الدرر، ج٤، ص٢٠٦.

٥. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ج١، ص٦٩.

٦. القرطبي، الجامع، ج١٨، ص١٤٨.

وممن رجح هذا المعنى كذلك البروسوي فربط بين مجموعة من الآيات السالفة بقوله: "﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم ٥١) الظاهر أنه مثل قولهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ كما قال الوليد بن المغيرة: ﴿معلم مجنون﴾ يعني يأتيه رئي من الجن فيعلمه"[٢].

فرع:

مما يمكن ربطه بما سبق من الآيات قوله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء : ٨٨) فإنه قد ذكر الجن في معرض التحدي.وقد كانت كلمة المفسرين على أن ذكر الجن إنما جاء لأنهم يشتركون مع الإنس في إنكار كون القرآن من عند الله، قال أبو السعود: "وتخصيص الثقلين بالذكر لأن المنكِرَ لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لأن غيرهما قادر على المعارضة"[٣]، أو تعظيماً لإعجاز القرآن، لا أنهم متحدون به كما ذهب إلى ذلك الزركشي[٤]. وذهب ابن عاشور إلى إن "ذكر الجن مع الإنس لقصد التعميم كما يقال: (لو اجتمع أهل السماوات والأرض) . وأيضا لأن المتحدِّين بإعجاز القرآن كانوا يزعمون أن الجن يقدرون على الأعمال العظيمة"[٥]. أما الباقلاني فرأى جواباً أقرب فقال: "وقد يمكن أن يقال: إن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن، وما يروون لهم من الشعر، ويحكون عنهم من الكلام"[٦]. ويرى الباحث أنه يمكن البناء على ما قال الباقلاني مع ربطه بموضوع البحث، فيكون سر ذكر الجن مع الإنس لأن المشركين قد ادعوا بالفعل نسبته إلى الجن في صورة الكهانة أو في صورة الجنون.وبذا يكون نفي استطاعة الجن الإتيان بمثله نابع من واقع التهم التي وجهت للقرآن الكريم.

١- لم يجد الباحث من نسب هذا القول إلى الوليد بن المغيرة.

٢ الصابوني، تنوير الأذهان، ج٤، ص٣٨٨.

٣ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٥،ص١٩٣.

٤ محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (بيروت:دار المعرفة،دط،١٣٩١هـ، ج٢،ص١١١.

٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج١٤،ص١٦٠.

٦ الباقلاني، إعجاز القرآن، ص٣٩.

القسم الرابع

آيات نسب فيها الجنون إلى الرسل السابقين

يرى الباحث إتماماً للفائدة أن يورد الآيات التي نسبت الجنون إلى الرسل السابقين، وكيف أن معناها يتسق مع المعنى الذي ارتضاه الباحث في هذه الدراسة. وهذه الآيات كالأتي.

١- ما نزل في نوح عليه السلام وهو قوله جل ثناؤه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾(القمر ٩)

معناه أصابته الجن بالمس، وغلبته على عقله، قال الخطيب الشربيني: "﴿قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ أي فهذا الذي يصدر منه من الخوارق أمر من الجن"[١]. وقال البيضاوي: "وقيل هو من جملة ما قالوه أي هو مجنون، وقد ازدجرته الجن وتخبطته"[٢]. قال الشهاب معلقاً: "حمل الزجر فيه على مس الجن له لأنه المناسب لقولهم: مجنون"[٣]. وعلق القونوي في حاشيته على البيضاوي: "ولا يخفى أن الجن له استيلاء على المجنون"[٤].

وقد تكررت هذه التهمة لنوح عليه السلام ففي سورة المؤمنون أن قومه قالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾(المؤمنون ٢٥). ويكون معناه: إن به مساً من الجنة، بدلالة الباء المفيدة للملابسة كما قال ابن عاشور في نظائر هذه الآية[٥].

٢- ما نزل في موسى عليه السلام

ورد في اتهام فرعون لموسى عليه السلام بالجنون قول الله عز شأنه: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾(الذاريات ٣٨-٣٩).

سياق الآية في بيان موقف فرعون مما جاءه به موسى عليه السلام، ولما كانت التهمة قد جاءت عقب أن أرى موسى فرعونَ آيات الله تعالى فقد نسب إلى السحر أو الجنون في سياق تفسير هذه الخوارق. قال أبو السعود: "﴿وقال ساحر﴾ أي هو

---

١ الخطيب الشربيني، السراج المنير، ج٨،ص٤٨.

٢ البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٢،ص٤٤٦.

٣ الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب،ج٩،ص٣٠.

٤ القونوي، حاشية القونوي، ج١٨،ص٣١٨.

٥ . الآية ٧٠ من السورة نفسها و الآية ١٨٦ من سورة الأعراف.

ساحر أو مجنون كأنه نسب ما ظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الخوارق العجيبة إلى الجن، وتردد في أنه حصل باختياره وسَعيِهِ أو بغيرهما"[1]، ففسر أبو السعود كلمة فرعون (مجنون) بالعلاقة مع الجن في سياق المعجزة التي أجريت على يد موسى عليه السلام، لا بالمرض العقلي الذي لا مدخل له في تفسير وقوع المعجزة. والفرق بين السحر والجنون هنا أن السحر يكون باجتلاب الساحر لمقدماته، أما الجنون فيغلب الجن على الإنسان. وهذا ما يؤيد من قال بأن "أو" في الآية على بابها في مقابل من قال إنها بمعنى الواو، قال القرطبي:"﴿ وقال ساحر أو مجنون ﴾ أو بمعنى الواو لأنهم قالوها جميعا"[2]. ورد الآلوسي:" فأو للشك.وقيل : للإبهام. وقال أبو عبيدة[3]: هي بمعنى الواو لأن اللعين قال الأمرين قال :﴿لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾(الشعراء ٣٤)، وقال :﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾(الشعراء ٢٧)، وأنت تعلم أن اللعين يتلون تلون الحرباء فلا ضرورة تدعو إلى جعلها بمعنى الواو"[4]. يشير الآلوسي إلى إن فرعون إنما أراد مخرجاً من الإقرار بالنبوة ففرّ إلى هذه التهم. قال الألوسي:"كأن اللعين جعل ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة منسوبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره فيكون سحراً أو بغير اختياره فيكون جنوناً"[5]. والكلام واضح في تفسير الجنون بغلبة الجن على موسى عليه السلام.

أما الآية الأخرى التي تضمنت اتهام موسى بالجنون فهي قول الله تعالى على لسان فرعون:﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾(الشعراء ٢٧)، ويبدو أن فرعون لم تَرُقْهُ تهمة الجنون لافتقارها لمعنى القصد الجرمي الذي رام أن يرمي موسى عليه السلام به، فاستقر على تهمة السحر، وهو الذي تفيده الآية ٣٤ من سورة الشعراء والتي تفيد قصد موسى للإفساد حيث قال فرعون﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الشعراء ٣٤-٣٥).

---

١. ابو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٨، ص١٤٢.

٢. القرطبي، الجامع، ج١٧، ص٣٤.

٣. انظر أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، مجاز القرآن، مصر، مكتبة الخانجي، دط.دت.ج٣، ص٢٢٧.

٤. الآلوسي، روح المعاني، ج٢٧، ص١٥.

٥. المرجع السابق.

٣- ما نزل في كون هذه التهمة من عادة الأقوام مع أنبيائها.

قول الله عز ذكره: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ (الذاريات ٥٢)

تأتي هذه الآية بعد آيات اتهام فرعون لموسى بتهمة الجنون لتبين أن هذه التهمة مما اشتهر في الزمن القديم عند جميع الأقوام، بخاصة وأن معظم تلك الأقوام كان اتصالها بعالم الغيب من خلال الكهنة والسحر عبر الجن فأول ما يسبق إلى أذهانهم في النبوة أنها نوع اتصال بالجن على ما عهدوه من كهنتهم وسحرتهم. والآية يقول الله جل ثناؤه فيها: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ (الذاريات ٥٢). وباستحضار تفسير العلماء لتهمة فرعون لموسى عليه السلام السابقة، فإنه تهمة الجنون، وهي تسلط الجان على النبي صلى الله عليه وسلم تأتي في سياق تفسير ما يظهر على يد الأنبياء عليهم السلام من الخوارق فهي عندهم تأتي في مقابل السحر من حيث كون المدعي للنبوة يظهرها باختياره فتكون سحراً، أو تغلبه عليها الجن فتظهرها على يديه.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتيسر الأسباب، وبمنِّه تتم الصالحات، وبعد، فبعد استكمال عناصر الدراسة يقدم الباحث ما خلص إليه من نتائج:

١- ينبغي ملاحظة الاشتقاق اللغوي للكلمة ودلالة ذلك الاشتقاق على معناها، وفي الدراسة فإن كلمة المجنون اشتقت من سببها وهو مس الجن دون غيره من أسباب الاختلال العقلي والذي خصصت له اللغة ألفاظاً تابعة لسبب ذلك الخلل، وهذا من وجوه الدقة في لغة العرب.

٢- معنى الجنون الذي عرفته العرب زمن تنزيل القرآن هو تسلط الجن بالمس على ابن آدم.

٣- التهمة التي وجهت للنبي صلى الله عليه وسلم هي تسلط الجن عليه بالمس بما يجعلهم يتكلمون على لسانه بالقرآن ويظهر هذا من واقع السيرة.

٤- سياقات الآيات المتضمنة لتهمة الجنون تتجه إلى مصدر القرآن لنفي كونه من عند الله تعالى، وليس إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم، لذا كانت الردود عليه في الآيات الكريمة متسقة مع هذا المقصد.

٥- تؤكد هذه التهمة عجز قريش عن الإتيان بمثل القرآن فلجأت إلى تفسير تفوقه بنسبته إلى الجن، وهي بذلك متضمنة لاعتراف بالمصدر الخارجي للقرآن عن شخص النبي صلى الله عليه وسلم ،ومؤكدة لإعجاز القرآن الكريم.

٦- أثّر التفسير الشائع لمعنى الجنون في تفسير بعض الآيات، وأنتج بعض الإشكالات اللغوية، والأخذ بالتفسير الراجح في الدراسة يقي من الوقوع في هذه الإشكالات.

٧- تفسير الجنون بالمعنى الراجح يتفق وسياق الآيات التي ورد فيها بما يؤكد أهمية السياق في فهم معاني الألفاظ الواردة مثاله لفظة الجنون الواردة في الدراسة.

٨- نزوع المفسرين المعاصرين إلى المعنى الراجح في الدراسة أكثر من المفسرين القدماء. وكذلك عنايتهم بتعليل التهمة، وعلاقتها بالقرآن وإعجازه.

٩- تردد كثير من المفسرين في تفسير آيات الجنون، ففسروا الجنون في بعض الآيات بالمعنى الراجح وفي آيات أخرى بمعنى الخلل العقلي، فلم يطرد لأحدهم قاعدته في كل الآيات.

١٠- غياب النظرة الشاملة للآيات تجعل المفسر يفسر كل نص بعيداً عن الآخر، بما يوقع في تجزيء المعنى.

١١-العلوم الشرعية تتكامل في الوصول إلى الحقيقة، ومما ظهر في البحث التكامل بين علم السيرة وعلم التفسير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا دائماً أبداً إلى يوم الدين.

* * *

قائمة المصادر والمراجع:

١. الآلوسي ، محمود بن عبد الله الآلوسي

٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت،دار إحياء التراث العربي.

٣. الأزهري ، محمد بن أحمد،

الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، (ط١)، ١٣٩٩هـ.

تهذيب اللغة، تحقيق:علي حسن هلالي، الدار المصرية للتأليف والترجمة،دط،دت

٤. الألباني ، محمد ناصر الدين الألباني

صحيح السيرة النبوية، عمان، المكتبة الإسلامية، (ط١).

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، بيروت، المكتب الإسلامي،(ط٢)، ١٩٨٥م.

٥. الإيجي محمد بن عبد الرحمن

جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت ،دار الكتب العلمية، (ط١)،٢٠٠٤/١٤٢٤م،

٦. الباقلاني ،أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني

إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل

الجامع الصحيح، تحقيق : مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير ، اليمامة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (ط٣).

٨. اسماعيل حقي البروسوي

روح البيان في تفسير القرآن، بيروت،دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣

٩. البغوي، الحسن بن مسعود ،

معالم التنزيل، بيروت،دار المعرفة، (١٤٠٦-١٩٨٦)، (ط١).

١٠. البقاعي، ابراهيم بن عمر

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، (ط١).

١١. محمد بن محمد الصديقي البكري

تفسير البكري، بيروت،دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠م

١٢. البيضاوي، عبد الله بن عمر القاضي

أنوار التنزيل وأسرار التأويل،بيروت، دار الكتب العلمية،(ط١)،١٤٠٨/١٩٨٨.

١٣. البيهقي،أحمد بن حسين

شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤١٠هـ

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق : أحمد عصام الكاتب، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (ط١)،١٤٠١م

١٤. الترمذي، محمد بن عيسى

الجامع الصحيح، المعروف بسنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٥. ابن التمجيد، مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي

حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي، ، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٦. بن تيمية، أحمد بن عبد الحليم

مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي، ١٣٩٨هـ.

النبوات، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٦هـ

١٧. ابن الجزري ، المبارك بن محمد،

النهاية في غريب الحديث، تحقيق : محمود محمد الطناحي،بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٨. الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين السيوطي

تفسير القرآن الشهير بالجلالين، القاهرة، دار الحديث،(ط١).

١٩. ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ/١٢٩١م).

٢٠. زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي،١٤٠٤هـ

٢١. الحاكم،محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري،

المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت،دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٩٩١م.

ابن حبان،

– صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق:شعيب الأرناؤوط، بيروت،مؤسسة الرسالة، (ط٢)، ١٤١٤/ ١٩٩٣.

٢٢. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،(٨٥٢هـ).

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق :علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل،(ط١)، ١٤١٢هـ.

٢٣. أبو حيان، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م).

البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٤. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال.

٢٥. الثعالبي، أبو منصور إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م).

-فقه اللغة وسر العربية، بيروت،دار الكتب العلمية،دط،دت.

٢٦. دروزة ، محمد عزة

التفسير الحديث،دار إحياء الكتب العربية،(ط١)، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

٢٧. الرازي، محمد بن أبي بكر

مختار الصحاح،تحقيق: يحيى خالد توفيق،القاهرة، مكتبة الآداب،(ط١)،١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٢٨. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر

مفاتيح الغيب ،بيروت دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

٢٩. الراغب، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني

معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤/ ١٤٢٥)، (ط١)

٣٠. عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

٣١. رضا، محمد رشيد

تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، بيروت، دار المعرفة، مصورة عن الطبعة الأولى

٣٢. الزركشي، محمد بن عبد الله ،

البرهان في علوم القرآن، (بيروت:دار المعرفة،دط،١٣٩١هـ

٣٣. الزمخشري، محمود بن عمر

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الفكر،دت،(دط)،

الفائق في غريب الحديث، تحقيق : علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ،لبنان، دار المعرفة،(ط٢)، (٥٣٨هـ/١١٤٣م).

٣٤. محمد أبو زهرة

زهرة التفاسير، القاهرة،دار الفكر العربي،١٣٩٥هـ/١٩٧٤م.

٣٥. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري،

الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر.

٣٦. عبد الرحمن بن ناصر السعدي

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت،عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٣٧. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣٨. السمين الحلبي، شهاب الدين بن يوسف ،

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق:علي معوض وزملائه، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣٩. ابن سيدة،علي بن اسماعيل

المحكم والمحيط الأعظم،بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ٢٠٠٠م.

٤٠. الخطيب الشربيني

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي،(ط١)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)

٤١. الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد الخفاجي

عناية القاضي وكفاية الراضي، المعروف بحاشية الشهاب ،بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧،(ط١).

٤٢. الشوكاني، محمد بن علي

فتح القدير ،بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.(ط١).

٤٣. ناصر مكارم الشيرازي

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت،دار الأميرة،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤٤. الصابوني، محمد علي الصابوني.

صفوة التفاسير، القاهرة: دار الصابوني.

تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، دمشق، دار القلم،(ط١)،١٤٠٨/١٩٨٨م

٤٥. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام

تفسير القرآن. تحقيق : د. مصطفى مسلم. الرياض. مكتبة الرشد،(ط١). ١٤١٠هـ.

٤٦. الطباطبائي،احمد حسين

الميزان في تفسير القرآن. بيروت. مؤسسة الأعلمي. ١٣٩٤هـ/١٩٧٤

٤٧. الطبراني. سليمان بن أحمد

مسند الشاميين. بيروت. مؤسسة الرسالة. (ط١)،١٩٨٤م.

تفسير الطبراني. الأردن. دار الكتاب الثقافي. ط١. ٢٠٠٨.

٤٨. الفضل بن الحسن الطبرسي

مجمع البيان في تفسير القرآن. إيران. رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية. دط. ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٤٩. الطبري. محمد بن جرير

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مكتبة مصطفى البابي الحلبي.١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.(ط٣)

٥٠. محمد سيد طنطاوي

التفسير الوسيط. القاهرة. دار المعارف. دط. دت.

٥١. ابن عادل. عمر بن علي الدمشقي الحنبلي.

اللباب في علوم الكتاب. بيروت. دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

٥٢. ابن عاشور. محمد الطاهر

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد. بيروت. مؤسسة التاريخ العربي.(ط١). ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.

٥٣. أحمد بن محمد بن عجيبة

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.بيروت.دار الكتب العلمية. ط٢. ١٤١٦هـ/٢٠٠٥م

٥٤. عبد الحق بن غالب بن عطية

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. فاس: المجلس العلمي. دط. ١٩٧٥م

٥٥. العكبري. أبو البقاء العكبري.

التبيان في شرح الديوان. بيروت. دار المعرفة. ١٣٩٧هـ/١٩٧٨م

٥٦. العيني. بدر الدين محمود بن أحمد

عمدة القاري بشرح صحيح البخاري.بيروت.دار الفكر.(ط١). ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م

٥٧. محمد حسين فضل الله

من وحي القرآن،بيروت، دار الملاك، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٢٣،ص٦١.

٥٨. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب

القاموس المحيط، تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧/١٩٩٧م.(ط١).

٥٩. القرطبي، محمد بن أحمد

الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣، (ط٢)،

٦٠. عايض القرني،

التفسير الميسر، مكتبة العبيكان،ط١

٦١. القمي، الحسن بن محمد القمي النيسابوري

غرائب القرآن ورغائب الفرقان،بيروت، دار الكتب العلمية.

٦٢. القونوي، اسماعيل بن محمد الحنفي

حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٦٣. ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)،

تفسير القرآن العظيم،بيروت، دار الخير، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، (ط١)،

٦٤. أحمد مصطفى المراغي

تفسير المراغي،بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

٦٥. المرزوقي، أحمد بن محمد المرزوقي

شرح الاختيار المنسوب لأبي تمام المعروف بكتاب الحماسة ، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، (ط١).

٦٦. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري

الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،بيروت، دار إحياء التراث،(ط١)

٦٧. محمد بن محمد القمي المشهدي

كنز الدقائق وبحر الغرائب،طهران،وزارة الثقافة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م،

٦٨. مغنية، محمد جواد

التفسير الكاشف، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨١

٦٩. المناوي، محمد عبد الرؤوف

التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، بيروت دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، (ط١)، ١٤١٠م.

٧٠. ابن منظور، محمد بن منظور الأفريقي

لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. (ط١).

٧١. النسفي، عبد الله بن أحمد

مدارك التنزيل وحقائق التأويل،دار إحياء الكتب العربية، دت. (دط).

٧٢. النووي، يحيى بن شرف

تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق : عبد الغني الدقر، دمشق، دار القلم. (ط١)، ١٤٠٨هـ.

المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج،بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ط٢.

٧٣. ابن الهائم شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري

التبيان في تفسير غريب القرآن،القاهرة،دار الصحابة للتراث، ١٩٩٢م ، ط١.

٧٤. وهبة الزحيلي

المنير،بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١. ١٤١١هـ ١٩٩١م

٧٥. محمد بن يوسف الوهبي

هميان الزاد إلى دار المعاد، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة،دط، ١٤١٢هـ/١٩٩١م

٧٦. اليازجي، إبراهيم

نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٠، ط٣.

* * *